وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد بوضياف -المسيلة-

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....
رقم التسجيل: 13/MD12/178

البعد التاريخي في رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

ميدان: لغة و أدب عربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالب (ة):
وفاء مهدي

إشراف الأستاذ:
مهدي عمار

تاريخ المناقشة : 2015/05/26
أمام لجنة المناقشة:

- عمار مهدي	مشرفا
- أحمد أمين بوضياف	رئيسا
- عبد الرشيد نور	ممتحنا

السنة الجامعية: 2015/2014

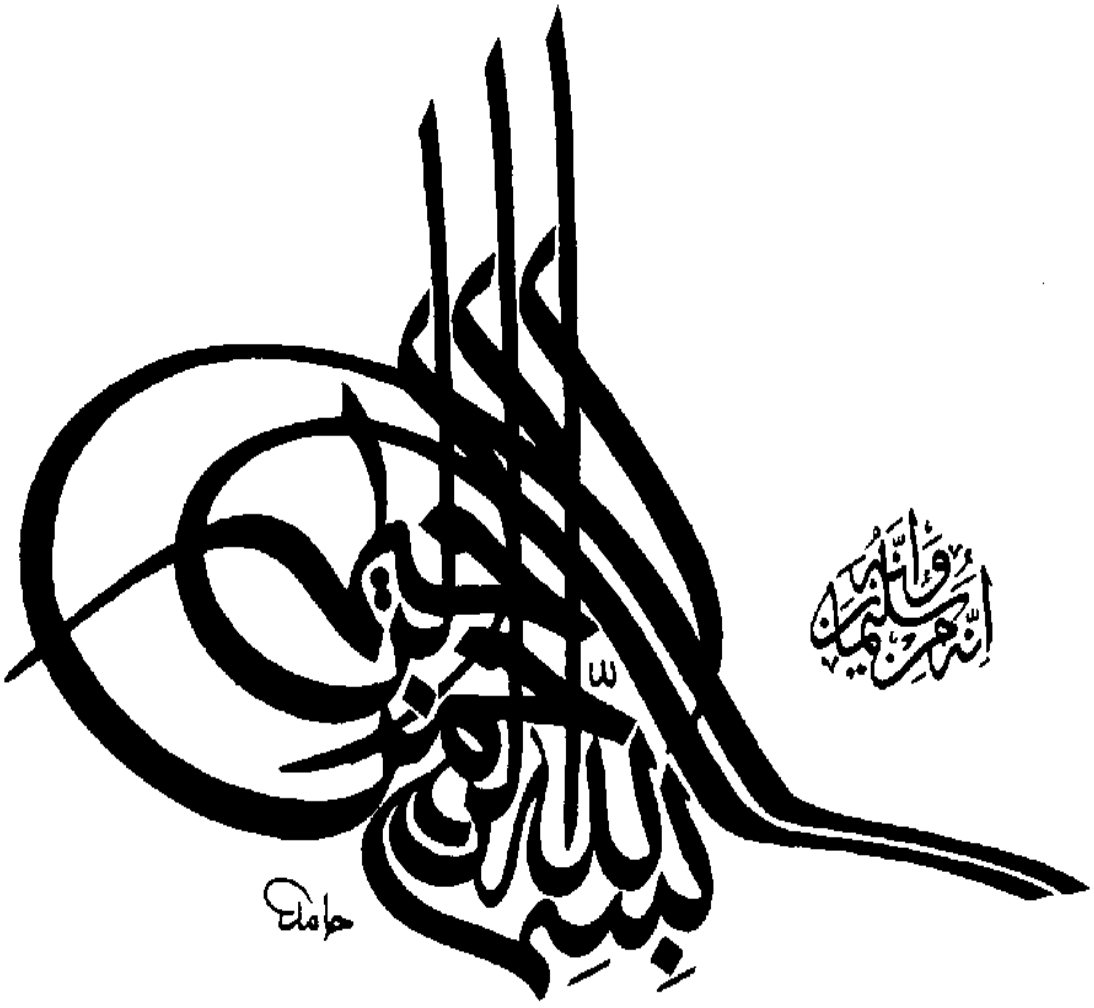
بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه

الإهداء

اللـهم لك الحمد اللـهم صلي على سيدنا محمد، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم

أما بعد: أهدي هذا العمل المتواضع

إلى أغلى ما عندي في الوجود أمي و أبي أطال الله عمرهما

إلى زوجي و ابني يعقوب عبد الصمد

إلى إخوتي وأخواتي

إلى عائلة زوجي

إلى زملائي و زميلاتي

إلى أستاذي المشرف مهدي عمار

و إلى كل من عرفتهم طوال مشوار حياتي

كلمة شكر

آح لخئ﴿ هآسقذ عـو مع لـبكـقرك ك شح بـ

كـتهفيـكـتى لإ تقه مؤلإ لمذّ هلقخل كسقذ

كـقخيذك و آزتئدىكـلسذ . لـخى ع لئذّ

عـو مـ شئح نكقي لـبّ هتهجيـئة نكـحقي لـبكـتى

لمئذ ظكـى خنه ا هئكـاحت.

ك و ظك آ عـصئ كـجـبكـلمئفسبكـي م تقذلهئ

ؤخئب هئكـاحـتكـلتهعـظ هئتخئز ا للإحـطئةلى

هلقي لـذ لتهجيـئةلى.

ك و ظك لـم زئـلى لـم فني ا آه لـم لمخ غـىئجئر

هئكـع ك لكـه اكـلـب.

مقـــدمة

مقدمة

الرواية هي من أكثر الأجناس الأدبية الحديثة والمتميزة عند كل باحث او قارئ، فقد حظيت باهتمام الدارسين في الساحة الأدبية والنقدية، على غرار بقية الأجناس الأدبية الأخرى، لأنها تعد شكلا من أشكال الوعي الإنساني، فقد ظلت الرواية العربية تكشف عن جملة من التجارب وتنقلها، حتى تجاوزت اهتماماتها إلى الكشف عن هموم الإنسان وتطلعاته المستقبلية، فضلا على أنها كشفت عن الحقائق التاريخية التي طوتها الروافد الثقافية.

ومن اللافت للانتباه في الكتابة العربية، ميل الكثير من الدارسين العرب إلى مواد تاريخية مختلفة، اتخذوها عجينة شكلت عماد ابداعاتهم، بل كانت مبعث الهامهم، ومحفزا قويا لمخيلتهم، قصد ابراز التطورات التي تمارس ضغوطاتها بفعل حضورها المرجعي الذي على المساهمة في بناء البنية النصية لإبداعاتهم.

وقد كان لي جملة من التساؤلات التي شغلت فكري أثناء مطالعتي للنصوص الروائية التي استمدت الواقع تاريخي معروف وموثق، خاصة الرواية الجزائرية،التي تتحدث عن الثورة الجزائرية، ومن بين هذه الروايات التي قرأتها، قررت على اختيار رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد"، للروائي واسيني الأعرج، ودراسة كيف و ظف وتكلم عن التاريخ في هذه الرواية.

فهذه الرواية تختلف عن انتاج واسيني الاعرج السابقة في مادتها الحكائية، كونها تعود الى مرحلة هامة في تاريخ الجزائر الحديث، وتعيد صوغ هذا التاريخ بطريقة فنية تحفظ للأجيال ذاكرتها، وتتيح لهم التعرف أكثر على هويتهم، وتعيد ربطهم بماضيهم للاستفادة منه، في بناء الحاضر والتطلع على المستقبل، والرواية أقدر على هذه المهمة من التاريخ.

ولعل أبرز محفزات اختياري للرواية المذكورة سابقا، موضوعها الذي يتصل بشخصية ذات شأن عظيم في التاريخ الجزائري الحديث، إنها شخصية الأمير عبد القادر الجزائري بكل

هالتها البطولية، التي لطالما كانت مبعث عالي في نفسي، وحافزا مثيرا للروح الوطنية والأمجاد، والانتماء العربي الاسلامي الاصيل، ومن رسا اختياري لهذه الرواية منذ البداية ثم تسجيلها كمشروع للبحث لان هذا العمل حاول فيه واسيني الاعرج، ان يقدم عملا متميزا في طريقة بنائه الفني، جسد من خلاله متخيلا روائيا مفعما بروح التجريب والمغامرة، ومتجاوزا الواقع المألوف.

فالعودة الى التاريخ وربط الأجيال بماضيها، هي رسالة نبيلة، ولكن ذلك يفتح المجال واسعا أمام كثير من الأسئلة فنيا وثقافيا، فإذا كنا نقرأ التاريخ من خلال الرواية، ونتعرف على تاريخ الشعوب والأمم من خلال عمل فني يجذب القراء بسحره، والسؤال المطروح هنا: ما الدافع الذي يقف وراء توظيف واسيني الاعرج لسيرة الأمير واتخاذها عنصرا أساسيا في روايته ؟ وإلى أي مدى يصدق الروائي عندما يصوغ لنا هذا التاريخ ؟ وما الجماليات الفنية التي حققها على المادة التاريخية ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة اخترت عنوان هذا البحث " البعد التاريخي " في رواية " كتاب الامير مسالك أبواب الحديد،لإبراز ذلك التناغم بين الفن والتاريخ في عمل أدبي،وذلك من أجل إعادة تشكيل وعي الناس، فغاية البحث اذن ليس البحث في صدق الحدث التاريخي داخل العمل الروائي، وإنما الغاية هي توضيح أشكال حضور التاريخ في الرواية، وتقديم الصدق الفني دون إهمال الصدق التاريخي.

ولقد قسمت البحث إلى ثلاثة فصول : الفصل التمهيدي وتناولت فيه الرواية الجزائرية، والفصل الأول كان موضوعه قضايا الرواية الجزائرية، أما الفصل الثاني فخصصته للتطبيق في الرواية، فلعل هذه الفصول تستجيب لمتطلبات هذه الدراسة وتجيب قدر الامكان على الأسئلة السابقة، ففي الفصل التمهيدي وهو الفصل النظري، فركزت على الرواية الجزائرية بصفة عامة، من حيث التعريف والفترة التي ظهرت فيها، وتناولت سبب تأخرها إلى ما بعد الاستقلال، ثم تطرقت إلى أهم الروايات الجزائرية.

أما الفصل الاول الذي بعنوان قضايا الرواية الجزائرية : فقسمته إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول تناولت فيه القضايا الاجتماعية للرواية الجزائرية، وكنموذج على ذلك درست حالة المرأة وأهميتها ومكانتها في الفترة الاستعمارية، ووضعها أثناء الثورة، والمرأة بعد الاستقلال.

والمبحث الثاني تطرقت فيه إلى القضايا السياسية، وكنموذج على ذلك درست الثورة الزراعية، وما عاناه الشعب الجزائري اتجاه أراضيهم التي أخذها منهم الاستعمار الفرنسي، وكيف وقفوا صفا لصف لاسترجاع أراضيهم، فقاموا بعدة ثورات.

أما المبحث الثالث فتحدثت فيهعن القضايا الثقافية، وكنموذج على ذلك خصصته لدراسة مشكل اللغة، وما عمله الاستعمار الفرنسي من أجل القضاء على اللغة العربية والتعليم،ومحاولته القضاء على مختلف المراكز الثقافية العربية والاسلامية.

والفصل الثاني التطبيقي الذي عنونته تحت عنوان " البعد التاريخي " في الرواية، وقسمته إلى خمسة مباحث، تناولت في المبحث الأول البعد التاريخي من حيث التعريف، ثم تطرقت إلى أحداث التاريخ التي وظفها الكاتب في الرواية، وفي المبحث الثاني تطرقت إلى السيرة الذاتية للأمير عبد القادر من حيث النشأة والتعليم، ومن حيث رحلاته ثقافته، وفي المبحث الثالث درست فيه حياة الامير عبد القادر الروائية كإنسان بسيط، أما المبحث الرابع فخصصته لطريقة تعامل الكاتب مع الشخصية التاريخية، ثم درست الفرق بين شخصية الأمير الروائية، والشخصية الواقعية، وفي المبحث الخامس استنبطت من خلال الرواية أسباب لجوء الكاتب إلى التاريخ، أي البعد الجمالي في توظيف التاريخ.

وقد اعتمدت على المنهج البنيوي الذي اقتضته ضرورة التعامل المتكرر مع بنى النص في أثناء الوقوف على طبيعة السرد الروائي وتقنياته،واستجلاء جمالياته، ومظاهر التجريب فيه.

وكذلك المنهج التاريخي الذي يؤول النص بربطه بسياقه التاريخي، ويحاول دراسة خلفيته التاريخية، لأن النص يحتوي على صراع فكري وثقافي وحضاري، وسياسي، وعسكري، وبمادة تاريخية مرتبطة بحياة شخصيات عصية على الاختزال أمثال الامير عبد القادر، والقس مونسنيور.

وقد استعنت في بحثي هذا على جملة من المصادر والمراجع أهمها : رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج، حياة الأمير عبد القادر لشارل هنري تشرشل، وديوان الأمير عبد القادر لبرونوايتين، والأمير عبد القادر (حقائق ووثائق) للأميرة بديعة الحسنى الجزائري، بالإضافة إلى الكثير من المراجع الأخرى نذكر منها : الرواية والتأويل لفيصل دراج، والرواية العربية الجزائرية الحديثة لمحمد مصايف، واتجاهات الرواية في المغرب العربي لبن جمعة بوشوشة، وتطور النثر الجزائري الحديث لعبدالله الركيبي وغيرها .

ولقد واجهتني بعض الصعوبات في بحثي هذا، خاصة منها قلة المراجع التطبيقية التي تعرضت لرواية " كتاب الامير. "

ولا تقتصر الصعوبة على المرجعية التاريخية فحسب، وكذلك الرواية نفسها صعبت من مهمتها بسبب ضخامة حجمها، اذ يقارب عدد صفحاتها حوالي خمسمائة وثلاثة وخمسون صفحة.

ولكن بالرغم من هذه الصعوبات التي واجهتني في دراستي لهذه الرواية، إلا أنها هانت أمام ذلك الدفع القوي من طرف أستاذي المشرف مهدي عمار، الذي وقف صابرا معي لإتمام هذا البحث، ولم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته، وملاحظاته القيمة، فأتوجه إليه بالشكر الجزيل على ما بذله من جهد معي، لك مني أستاذي أسمى آيات التقدير والاعتراف، كما لا يفوتني أن أشكر كل الأساتذة الأعزاء الذين لم يبخلوا علي بكل ما أتيح لهم من وجهات نظر، ومراجع غنية بالمعارف أسهمت في توجيهي، لكم مني جزيل الشكر والاعتزاز.أرجوا من الله أن يوفقني .

الفصل التمهيدي

نشأة الرواية الجزائرية

تمهيد:

الحديث عن الأدب الجزائري جزء من كل هو الأدب العربي عموما للجذور المشتركة الضاربة في العمق، رغم الفروق الشكلية بين أقطار الوطن العربي، وهي فروق لا تلغي طبيعة التلاقح والتكامل، فكرا وفنا، في كل الأنواع الأدبية ومن هذه الأنواع الرواية نفسها، لاعتبارها المنبع الحضاري ومسارها الإنساني العام.[1]

فحين نعود إلى القواميس العربية لتحديد مفهوم الرواية نجد أن هذه اللفظة تدل على التفكير في الأمر، وتدل على نقل الماء وأخذه، كما تدل على نقل الخبر واستظهاره، فقد ورد في لسان العرب عن ابن سيده في معتل الياء روي من الماء بالكسر ومن اللبن يروي ريا، و يقال للناقة الغزيرة هي تروي الصبي لأنه ينام أول الليل، و يسمى البعير راوية على تسمية الشيء باسم غيره لقربه منه، و يقال روي فلان فلانا شعرا إذا رواه له متى حفظه للرواية عنه.

قال الجوهري رويت الحديث و الشعر رواية، فأنا راو في الماء و الشعر من قوم رواة، و رويت الشعر ترويه، أي حملته على روايته و أرويته أيضا، و نقول انشد القصيدة يا هذا، ولا نقل اروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها.[2]

وبالرغم من صعوبة تعريف الرواية فإننا سنحاول التهدي لتعريفها باستعراض بعض التعاريف التي أوردها بعض الدارسين و مما جاء في تعريفها نذكر:

هي رواية كلية شاملة موضوعية أو ذاتية تستعير معمارها من بنية المجتمع و تفسح مكانا لتتعايش فيه الأنواع والأساليب، كما يتضمن المجتمع الجماعات و الطبقات المتعارضة.[3]

---

(1) عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص195.
(2) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر ، بيروت، 1995.
(3) العروي عبد الله: الإيديولوجية العربية المعاصرة، ترجمة عيساني محمد، دار الحقيقة، بيروت، 1970، ص275.

و يعرفها الدكتور "واسيني الأعرج" بقوله الرواية فن المستقبل الذي بإمكانه ان يلقي القبض على اللحظة التاريخية بكل أبعادها في لحظة توترها و عنفوانها. [1]

بناءا على هذه التعاريف نجد أن الرواية تتميز بما يلي:

1. الكلية والشمولية سواء في تناول الموضوعات أو في الناحية الشكلية
2. قد تكون الرواية معبرة عن الفرد أو الجماعة أو عن الظواهر.
3. ترتبط الرواية بالمجتمع و تقييم معمارها على أساسه.
4. الرواية مثل المجتمع تتجاوز المتناقضات و تجمع بين الأشكال الأدبية. [2]

و من خلال هذا نخلص إلى القول بأن الرواية هي شكل أدبي، تتميز عن الأنواع الأخرى بقالب فني خاطر، ظهرت في فترة تاريخية معينة، واستطاعت أن تتطور بقوة و عنف مشكلة بذلك ظاهرة تجاوزت في عصرنا أشكال الأدب الأخرى، و قد مهدت لها الطريق الكثير من الكتاب بتجاربهم و محاولاتهم الفنية الأصلية، فرسخت مقومات هذا الشكل الأدبي وأرسلت تقاليده مكتسبة مرونة جعلتها تتطور مع المد الحضاري معبرة عن الكثير من قضايا العصر و مشكلات المجتمع و قد عرفت الرواية تطورا واضحا في البلدان الغربية، على حين ترى أنها لم تعرف ظهورا واضحا في الجزائر إلا مع أواخر الستينات و إن كانت بعض المحاولات مع نهاية الحرب العالمية الثانية، فقد كان تأخر الحركة الأدبية في الجزائر نتيجة ظروف و أسباب اجتماعية و تاريخية يأتي في مقدمتها الدور السلبي الذي لعبه الاستعمار في الحياة الفكرية و الثقافية و السياسية في الجزائر، وطمس معالم الشخصية العربية و الإسلامية و كذلك تأخر ظهور الرواية في الجزائر عن ظهور الفنون التقليدية الأدبية الأخرى له أسباب أيضا.

و أبرز فترة ظهر فيها الفن الروائي بوضوح فترة ما بعد الاستقلال، فقد عهد الاستقلال عهدا للاستقرار و الهدوء و التأمل، و من ثم عهد الرجوع إلى النفس و إلى

---

[1] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص473.
[2] محمد أمين العام: تأملات في عالم نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970،ص68، 73.

الماضي الثوري القريب يدرسه الكاتب و يستخلص منه العبر و الدروس، و قد كانت الرواية في مجالات متنوعة و مختلفة، فمنها الرواية الواقعية إلى الرواية التقليدية و كذلك الرواية التاريخية. [1]

فالرواية الجزائرية الحديثة النشأة غير مفصولة إذن عن حداثة هذه النشأة في الوطن العربي كله، مشرقه ومغربه، سواء في نشأتها الاولى المترددة، أو في انطلاقتها الناضجة،ولم تأت هذه النشأة عموما بمعزل عن تأثير الرواية الأوربية بأشكال مختلفة، وهي نشأة تختلف ظروفها بطبيعة الحال من قطر عربي إلى آخر من دون أن نسهو عن جذورها المشتركة عربيا أولا: في صيغ القص في القرآن الكريم، والسيرة النبوية.وثانيا: في البذور القصصية الأولى في مقامات الهمذاني والحريري التي ترجمت إلى عدة لغات مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية فضلا عن الفارسية والتركية. [2]

فلا يمكن بأي حال من الأحوال تناول نشأة وتطور الرواية الجزائرية بمعزل عن الوضع الاجتماعي والسياسي للشعب الجزائري، ذلك أن هذا الفن الأدبي كغيره من الفنون الأخرى لا ينبت في الفضاء، فلا بد له من تربة، وبقدر خصوبة هذه التربة تكون جودة الانتاج، وخصوبة التربة تعني وجود نضج ووعي، كما أنه في تناولنا لموضوع الرواية لابد من التطرق إلى المرجعيات الأخرى لهذا الجنس الأدبي، من مثاقفة ومن ارتباط مع المشرق العربي ومع التراث السردي بصفة عامة، هذا فضلا عن الواقع السياسي والاجتماعي للشعب الجزائري، وبطبيعة الحال فإن استعراض التاريخ النضالي للشعب الجزائري أمر في غاية الصعوبة لتراكم الأحداث وتشابكها. [3]

---

[1] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية في الجزائر، ص473.
[2] عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص195.
[3] ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900- 1930، دار الآداب، بيروت، 1969، ص35.

ولقد ظهرت الرواية العربية الجزائرية متأخرة بالقياس إلى الأشكال الأدبية الحديثة مثل: القصة القصيرة والمسرحية والمقال الأدبي، رغم ذلك فهي أكثر الأجناس الأدبية حساسية اتجاه المجتمع والنسيج الروائي كشبكة مؤلفة من شخصيات وحوادث ولغة. [1]

والرواية الجزائرية الحديثة المكتوبة باللغة العربية، التي يشير أغلب الدارسين والنقاد في الجزائر إلى أنها من مواليد السبعينيات ما عدا "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمحمد إبراهيم، التي كتبت سنة 1849، وكان الناقد والباحث الجزائري الدكتور ابو القاسم سعد الله قد عثر عليها محفوظة في المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، فقام بتحقيقها وطباعتها. [2]

ثم تبعتها محاولات أخرى في شكل (رحلات) ذات طابع قصصي، منها ثلاث رحلات إلى باريس في (1852)، (1878)، (1902)، وبعدها تلتها أعمال بدأت تعانق الفن الروائي.

بوعي قصصي، وجدية في الفكرة والحدث والشخصيات والصياغة، فكان أول جهد (غادة أم القرى) لأحمد رضا حوحو، وهي تعالج وضع المرأة ولكن في البيئة الحجازية. [3]

وقد كان الاختلاف والاحترام في جعل "غادة أم القرى" رواية، وهذا الحيز أسفر عنه عدة باحثين ونقاد من بينهم "عايدة أديب بامية" والتي وضعتها في إطار القصة، والتي أيضا ترى وتعتبر بأنه كان موقف "حوحو" أكثر إشفاقا على المرأة، إذ كان بالأحرى موقف واهتمام صادق، فهو بالإضافة يجعل من نفسه مدافعا عن المرأة الجزائرية. [4]

وقد عاش أحمد رضا حوحو مع أسرته (1934-1946)، وانتهى من كتابة قصته في الجزائر سنة 1947 في (1 جانفي) بعد عودته، حيث أدان فيها الواقع الذي تحرم فيه

---

(1) أحمد سيد محمد: الرواية الإنسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب(محمد ديب و نجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص12.

(2) أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996، ص85.

(3) عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص197.

(4) عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992، ص318.

المرأة (الجزائرية أو الحجازية) حقها في الرأي، وتصادر مشاعرها لتعيش الشقاء والبؤس، فبدا للكاتب أن المرأة الجزائرية لا تختلف في ذلك عن أختها الحجازية لذا أهداها روايته، وهو يعيش قريبا منها في وطنه الصغير، من الوطن العربي الكبير حيث قال: "إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب... من نعمة العلم... من نعمة الحرية، إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود إلى المرأة الجزائرية، أقدم هذه القصة تعزية وسلوى".[1]

أما الكتابة الروائية في الخمسينيات فقد عرفت ظهورا محتشما، ظهرت قصة كتبها عبد المجيد الشافعي وأطلق عليها عنوان "الطالب المنكوب"، وهي قصة مطولة أيضا رومانسية في أسلوبها وموضوعها فهي تتحدث عن طالب جزائري عاش في تونس في أواخر الأربعينيات، أحب فتاة تونسية وسيطر عليه حبها، حتى أنه كان يغمى عليه من شدة الحب، ومضمونها ساذج مثل طريقة التعبير فيها. [2]

ثم ظهرت رواية "الحريق" لنور الدين بوجدرة، و "صوت الغرام" لمحمد منيع، ثم "رمانة" للطاهر وطار عن نتائج الفقر التي انتهت بالفتاة (رمانة) الجميلة، ذات الست عشرة سنة، زوجت لتاجر شره يحوزه كما يحوز تحفه وأثاثه.

وتتميز هنا (غادة أم القرى) و (رمانة) بمستواهما الفني السليم في هذه الفترة المتقدمة من نشوء الرواية الجزائرية، وإن بدت (رمانة) رواية مضغوطة، ذات لغة سريعة فإن اللغة في (أم القرى) أكثر هدوء في وصف الشخصية ومحيطها. [3]

أما في ما يخص الروايتين "الطالب المنكوب" لعبد الحميد الشافعي و رواية "الحريق" لم ترقيا إلى المستوى المطلوب ويعود ذلك إلى سيطرة المضامين الانفعالية التي تجمد الأحاسيس السطحية، لأن صاحبيهما لم يستفيدا من الأدب المكتوب باللغة الفرنسية، إذن يعد نص "غادة أم القرى" الصادر سنة 1947 فاتحة لحسن الرواية الجزائرية رغم أن

---

(1) عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص197.
(2) عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1883، ص200.
(3) عمر قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص198.

البعض منهم يعود بهم قرن إلى الوراء وتحديدا إلى سنة 1847، مع صدور نص "العشاق في الحب والاشتياق" لمصطفى بن إبراهيم.

فاحمد رضا حوحو يعد الإرهاص الأول لميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ثم توالت بعدها المحاولات الإبداعية للروائيين الجزائريين، فقد كتب عبد المجيد الشافعي رواية "الطالب المنكوب" سنة 1951، ثم كتب نورالدين بوجدرة رواية "الحريق" سنة 1957.

وكان هذا مجمل ما كتب باللغة العربية في مجال الرواية خلال فترة الخمسينيات وعلى الرغم من الإنتاج المتواضع والهزيل إلا أنه اعتبر هاتين المحاولتين الابداعيتين لفن الرواية في بلادنا. [1]

تعتبر مرحلة الاستقلال قفزة نوعية بالنسبة للفن الروائي الجزائري موسعة خاصة بعد انتقاله من النظام الرأسمالي (الاستعمار) إلى النظام الاشتراكي، على أن الأمر يتطلب عشرات السنوات لإعادة البناء على كل المستويات، وقد عرفت المرحلة الأولى من الاستقلال تأخرا وشحيحا للكتابة الروائية باللغة العربية، إذ لم يتسنى للكتاب الجزائريين أن يبدعوا في هذا المجال إلا في أواخر الستينات، هذا ما أكدته "عايدة أديب بامية"، بقولها: "فقد تأخر ظهور هذا النوع الأدبي حتى سنة 1967 حيث صدرت رواية "صوت الغرام" لمحمد منيع، وهي رواية تنتمي إلى التيار الإصلاحي إذ تعكس في مجملها رؤى فكرية وجمالية قاصدة عن فهم جدلية التطور الاجتماعي والتناقضات التي تتحكم في سيرورة المجتمع، فهي لم تستطع إضافة الجديد إلى الرصيد القصصي الجزائري بقدر ما حاولت اجترار الماضي. [2]

---

[1] إدريس بودبية: الرواية والبنية في روايات الطاهر وطار، شركة أشغال الطباعة- قسنطينة- الجزائر، ط2، 2000، ص36- 38.

[2] بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 1999، ص30.

وهناك من يرى من النقاد أن الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية آنذاك في الجزائر، ساعدت على ظهور الولادة الحقيقية للرواية الجزائرية فمع: "بداية السبعينات شهدت تغيرات قاعدية كبيرة كانت الولادة الثانية والأكثر عمقا للرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية".[1]

وتأخر ظهور الرواية الجزائرية إلى الفترة التي ذكرناها، يرجع إلى أن هذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل وإلى صبر وأناة، ثم يتطلب ظروفا ملائمة، تساعد على تطوره وعناية الأدباء به، وفي مقدمة هذه العوامل أن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة القومية أدبا عربيا اتجهوا إلى القصة القصيرة لأنها تعبر عن واقع الحياة اليومي خاصة أثناء الثورة التي أحدثت تغييرا عميقا في الفرد، فكان أسلوب القصة القصيرة ملائما للتعبير عن الموقف أو عن اللحظة الآنية، و عن التجربة المحدودة بحدود الفرد، أما الرواية فإنها تعالج قطاعا من المجتمع رحابة واسعة لشخصيات تختلف اتجاهاتها و مشاربها و تتفرع تجاربها وتتصارع أهواؤها و مواقفها، و من ثمة كان الكاتب يحتاج إلى تأمل طويل كما ذكرت. [2]

ثم إن الرواية تتطلب لغة طليعة مرنة، قادرة على تصوير بيئة كاملة وهذا ما لم يتوفر لها سوى بعد الاستقلال لأسباب كثيرة ليس هذا مجال الحديث عنها، وفوق هذا فإن كتاب الرواية في الجزائر، لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يقلدونها أو ينسجون على منوالها، كما كان الأمر بالنسبة للكتاب باللغة الفرنسية الذين وجدوا تراثا غنيا ونماذج جيدة في الأدب الفرنسي، ومع ذلك فإن كتاب الرواية العربية قد أتيح لهم أن يقرؤوا في لغتهم عيونا واسعة في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة، ولكنهم لم يتصلوا بهذا الإنتاج إلا في فترة قريبة بسبب الظروف التي عاشوها وعاشتها الثقافة القومية في الجزائر. [3]

---

(1) واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص90.
(2) عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري، ص237.
(3) نفسه، ص297.

غير أن النشأة الجادة لرواية فنية ناضجة ارتبطت برواية (ريح الجنوب) وقد كتبها عبد الحميد بن هدوقة، في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدي عن الثورة الزراعية، فأنجزها في 05 نوفمبر 1970، تزكية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة لخروج الريف من عزلته ورفع الضيم عن الفلاح، ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان، وسرعان ما تكرس ذلك الخطاب الطويل الذي هلل له الإعلام كثيرا في قانون الثورة الزراعية الصادر رسميا في 8 نوفمبر 1971. فهذا هو الجو الذي تنفست فيه (ريح الجنوب) طلائعه، وقد جرت أحداثها في الريف بمنطقة قريبة من الهضاب العليا بين جنوب الوطن وشماله، حيث تقبع قرية رعوية صغيرة، يقطنها (عابد بن القاضي) ذو الأراضي الفلاحية والأغنام، وأبو نفيسة الطالبة في الجامعة بمدينة الجزائر، وله راع يسهر على قطيعه يدعى (رابح)، كما لابن القاضي سابق صلة بالمجاهد القديم (مالك) المناضل في حزب جبهة التحرير الوطني، وهذه الشخصيات الرئيسية في الرواية، إلى جانبها شخصيات ثانوية وهم الطاهر المعلم وخيرة أم نفيسة والعجوز رحمة صانعة الفخار.[1]

وريح الجنوب تثير قضايا كثيرة تتصل بالأرض وبالمرأة وبنضال الأفراد من أجل الحياة والمستقبل، كما تعالج الدوافع الشخصية، والتصرفات التي تحرك الإنسان وتقوده إلى مصيره ثم تعرض الجانب الشرفي الإنساني وصراعه الدائم ضد رواسب الماضي ومحاولته للتفوق على نفسه ولكنه سياق إلى نهاية لا يريدها لأن الفروق أقوى منه.

وقصة (ريح الجنوب) هي قصة مأساة فتاة جزائرية ريفية هربت من القرية إلى الجزائر من أجل الدراسة، وحين عودتها لتقضي إجازتها في الصيف أراد أبوها أن يزوجها دون أن يأخذ برأيها.

فمعالجة موضوع المرأة وصراعها من أجل التقدم ورفضها لمنطق الوصايا أو وقوفها ضد العادات والتقاليد، إن هذا الموضوع أيضا قد لا يكون جديدا في الأدب العربي وحتى

(1) عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص297.

في الأدب الجزائري، وخاصة في القصة القصيرة وان اعتبر جديدا في الرواية الجزائرية العربية.

وهكذا يمكن اعتبار رواية (ريح الجنوب) فعلا النشأة الجادة الناضجة لرواية فنية جزائرية، حدثا وشخصيات وأسلوب، تأتي بعد أن قطع هذا اللون فنيا في معظم أقطار الوطن العربي شوطا كبيرا ومنه (تونس والمغرب). [1]

ثم ظهرت في السنتين الماضيتين روايتان للطاهر وطار وهما على التوالي "الزلزال" و " اللاز "، ففي رواية الزلزال يعيش الحدث قضايا الثورة الزراعية بجزئياتهما، فهو يطرح حدثا رئيسيا هو تأميم الأرض و " زلزال " وطار زلزال جماهيري يحاكم الإقطاع. [2]

ثم ظهرت " اللاز " تخطو في مرحلة التأسيس، هذه خطوة متقدمة ذات اعتبار، إن لم تكن بالموضوع فالمعالجة المتطورة، وهي تجمع ملامح من أشكال سلوك في دافع الثورة الجزائرية (1954- 1962) وواقع ما بعد الاستقلال، وما أفرزه الوضع من آفات مختلفة (سياسية، ثقافية واجتماعية). [3]

ومهما يكن من شيء، فقد نشأت الرواية الجزائرية الفنية تتكئ على الواقع المعيش سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، مع تردد في الموقف الإيديولوجي الذي بدا أقرب إلى موقف النظام، وبعض الضعف الفني بناء وشخصيات وتصويرا، كما نرى في (ريح الجنوب) 1970، ثم خطت الرواية خطوة فنية نحو التطور الإيجابي فنيا سنة (1972)، في هذه النشأة برواية (اللاز) التي استمد الثورة ماضيا، وبعض نتائجها السلبية لاحقا بعد الاستقلال، وامتداد نتائج مختلفة حتى السبعينات.

وتعتبر هاتان الروايتان الأرضية الصحيحة في التأسيس لرواية جزائرية بلسان الأمة والوطن (العربية) سرعان ما اتسع مجالها وتعدد كتابها.

---

(1) عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري، ص 239-240.
(2) أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 94.
(3) عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص220.

والروايتان كانتا معا من آخر الأنفاس الأدبية فيما يسمى بأدب (الالتزام) أو (الإلزام) في (الجزائر) برؤى تلتقي في أشياء، وتختلف في أخرى، عبرت في جميع الحالات عن حيوية الحياة الثقافية والأدبية خلال السبعينيات، التي سرعان ما شرعت تشهد ازدهار لهذا الفن خصوصا في نصفها الثاني، وقد تأصل نوع أدبي جديد ناضج في الأدب الجزائري الحديث المعبر بلغة الوطن عن واقع وقضايا ومواقف في مستويات أدبية فنية مختلفة. [1]

ونستخلص مما سبق أن الرواية الجزائرية ذات مكانة مرموقة، وتحمل قضايا متشعبة، وهي كذلك تحمل صوت الأديب وآلام الشعوب التي لا طالما كانت من الاستعمار الأجنبي، التي عمل على طمس هويتها، ومما زاد في شهرة الرواية الجزائرية أنها ترعرعت على أيدي روائيين كبار وعظماء أمثال، عبد الحميد بن هدوقة، الطاهر وطار، رشيد بوجدرة، واسيني الأعرج وغيرهم.

كما استطاعت أن تفرض وجودها ضمن أهم الفنون الأدبية الأخرى في العالم العربي، وهذا راجع إلى استيعابها للأسس الفنية التي يبنى عليها العمل الأدبي، وكذلك لارتباطها بالتحولات المتعلقة بالجوانب الاجتماعية، والسياسية، والثقافية،والاقتصادية،إذن فهي جنس أدبي متحول يخضع إلى مجموعة من الدوافع والعوامل، تجعل الأدب ينقل ما يتعرض له مجتمعه إلى كتاباته، لأن الكاتب الروائي لا يكتب لنفسه، بل يعمل دائما على إيجاد الصلة بينه وبين أفراد مجتمعه.

[1] المرجع السابق، ص241.

الفصل الأول: قضايا الرواية الجزائرية

المبحث الأول: القضايا الإجتماعية (المرأة).

المبحث الثاني: القضايا السياسية (الثورة الزراعية).

المبحث الثالث: القضايا الثقافية (اللغة).

المبحث الأول: القضايا الاجتماعية (المرأة)

يعاني مجتمعنا الجزائري كبقية المجتمعات العربية الأخرى عدة مشاكل اجتماعية، وتعترض سبيل تقدمه جملة من عوارض التخلف، ومظاهر الظلم و الحيف، ومن جملة المشاكل المطروحة قضية المرأة، هذه القضية القديمة المتجددة إنها قضية (ملحة ومفتوحة) كثيرا ما تثار بصورة تصل أحيانا حد التناقض، بينما ترى بعض الآراء ضرورة التزام المرأة بالبيت ولبس الحجاب، ترتفع أصوات أخرى لتمزيق ذلك الرداء الأسود، والانطلاق إلى العمل، والمشاركة في الحياة جنبا إلى جنب مع شقيقها الرجل، وبين هذين النقيضين ترتفع أصوات وسطية تدعوا إلى إتباع منهج وسط بين الانغلاق والتحرر، ولمختلف هذه الآراء والأفكار حججها وأدلتها، وأرضيتها الثقافية وخلفيتها التاريخية.

أما وجود المرأة في ميدان الأدب فيحتل مساحة كبيرة، فقصائد الشعر العربي تنوء بوصف النساء، ولوحات الرسامين تعتمد على هذا الموضوع وكذا الأفلام والإشهار.

والمرأة في الرواية تحتل نصيبا أوفى وأوفر، وكذا الشأن في الدراسات الأدبية والاجتماعية، ومع كثرة الدراسات المقدمة عن المرأة سلبا أو إيجابا، فإن تلك الدراسات والبحوث الاجتماعية تجري في أماكن أخرى، بحيث تكاد تقتصر تلك الأبحاث حول النساء في المدن « فالدراسات تجري غالبا في محيط غير بعيد عن الجامعات ومراكز التعليم، ومعظم أحكامنا نبنيها على معرفة بشرائح من نساء المدن. »

وتلك هي طبيعة الدراسات الاجتماعية على الخصوص، وهو الأمر المغاير لمعالجة قضية المرأة في الأعمال الأدبية والرواية بشكل خاص، فالدراسات السالفة الذكر تتناول مشكلة خضوع المرأة واضطهادها وتشير إلى الجهود التي تحاول تحطيم ذلك الاضطهاد، ولا تكاد تتجاوز عرض الإشكالية فهي في أحسن الأحوال بهذا القدر.

أما الحديث عن المرأة الجزائرية في تاريخنا الطويل والمتنوع وتطرقنا إلى أوضاع المرأة العربية بصفة عامة لم يغنينا عن التطرق لوضع المرأة في الجزائر، ذلك أنه لكل قطر عربي ظروفه ومتغيراته التي على أساسها ترسم العلاقات بين الأفراد. [1]

وتقسم "أديب بامية" تاريخ المرأة الجزائرية في العصر الحديث إلى ثلاث مراحل هي:

1. الفترة الاستعمارية.
2. فترة حرب التحرير.
3. فترة الاستقلال. [2]

ففي الفترة الاستعمارية تعتبر المرأة الجزائرية مماثلة لوضعية النساء الأخريات في بلدان حوض البحر المتوسط، ففي المجتمع الجزائري المحافظ كانت المرأة تعتبر مواطنة من الدرجة الثانية، وكانت تعامل أشبه بالسلعة منها كمخلوق حي له،مشاعره وأحاسيسه، لقد كانت ضحية لتقاليد مجتمعنا ولسوء فهم وخطأ تطبيق التعاليم الإسلامية، ولقد جاء الاستعمار الفرنسي ليجد المرأة الجزائرية سجينة في دارها، خاضعة لسيطرة الرجل وسطوته، سواء كان والدها أو أخوها أو زوجها، وغائبة عن أي دور في الحياة الاجتماعية لبلدها، ولاسيما في المدن، ذلك لأن المرأة في الريف كانت تشارك الرجل في الأعمال الزراعية.

أما وجود الفرنسيين في الجزائر فلم تكن آثاره الهامة بالنسبة للمرأة، بل على العكس من ذلك، فإن وجود المستعمر أعطى للرجال المبرر لإحكام قبضتهم على المرأة كإجراء اتخذوه لحمايتها من العدو المحتل.

---

(1) صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر، ط2، 2009، ص 09.
(2) نفسه، ص 17.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن المرأة كانت بمثابة كبش الغداء أمام الرجل، الذي كانت تداس مشاعره من قبل المحتل، فيعود إلى بيته ليمارس فيه سلطته على المرأة، فيثبت بذلك رجولته ومقدرته، وحتى أولئك الذين هاجروا إلى فرنسا وتأثروا بالحضارة الغربية، نجدهم عندما يعودون إلى الجزائر لا توجد لديهم أي رغبة لتحسين أو تطوير وضعية المرأة، ولا يرتضوا أبدا أن تكون المرأة الجزائرية مماثلة أو مشابهة للمرأة الفرنسية، ونظرا لعدم وجود أية دراسة حول هذه النقطة الخاصة، فإن المرء يستطيع فحسب أن يفترض بأن الأسباب ترجع إلى الطبيعة العامة للمجتمع الجزائري الذي [1]كان يتميز إلى حد بعيد بالمحافظة وبالنظام الأبوي،حيث كان كبار السن لا يسمحون حتى بأقل درجة من التحرر من قبل الرجال العائدين من المهجر، وكان هؤلاء الاخيرون، بدورهم على غير استعداد لإغضاب شيوخهم بإدخالهم أو تعديل أو تغيير في أوضاع المرأة، وبالإضافة إلى هذا النمط من التفكير كان الرجال الجزائريون.

ويميلون إلى أبعاد المرأة الجزائرية في موضعها، حتى لا تصبح في يوم من الأياممثل المرأة الفرنسية التي كانت كما يرون متحررة أكثر من اللازم.

أما النساء الجزائريات اللواتي اصطحبهن أزواجهن معهم في هجرتهم فقد كن قليلا العدد نسبيا، بحيث يستطعن أن يلعبن دورا بارزا في تغيير مجتمعهن وقتما يعدن إلى الجزائر. [2]

وضعية المرأة أثناء الثورة:

كانت الثورة الجزائرية المسلحة التي انطلقت عام 1954 أشبه ما تكون بالنفير العام، حيث هب الشعب للكفاح بكل ما يملك وبما يستطيع، يتساوى في ذلك الذكور والإناث، وقد أثبتت المرأة جدارتها في الكفاح بمساعدتها الرجل، وبحمل السلاح أيضا، تقول الباحثة أديب بامية: " لقد برهنت الحرب حقا أنها كانت الفترة الذهبية في تاريخ

[1] عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي في الجزائر، 1925-1967، ص297.
[2] نفسه، ص 207.

المرأة الجزائرية، إذ أنه في أعقاب اندلاع الثورة ظهرت تغيرات مفاجئة شاملة وبعبدة المدى في وضعية المرأة، لقد كانت الحرب فرصة لتعبير المرأة عن نفسها بصورة مضاعفة تثبت قوتها للمستعمر وللرجل في الوقت نفسه، وبذلك فإن الثورة الجزائرية كانت ثورة في عقوا الرجال كذلك، فقد تقبلوا كفاح المرأة في هذا المجال " وأبرزت الثورة المسلحة صورة المرأة المحاربة والمناضلة والمشاركة، فكان حضورها هذا دليلا بارزا على التحول الاجتماعي الذي وقع في البلاد وفرض مساهمة كل مواطن في محاربة الاستعمار، إذن فإن الأدوار المتعددة التي قامت بها النساء خلال الثورة قد أحدثت خلخلة في العلاقة الاجتماعية فارتفعت لأول مرة مكانة المرأة ونسجت حول بطولتها القصص والحكايات التي يتغذى بها الأدب القصصي فيما بعد. [1]

تعرضت الكثير من المجاهدات الجزائريات إلى الاعتقال والتعذيب من طرف القوات الفرنسية، بسبب مشاركة هؤلاء في الثورة بصفة مباشرة وغير مباشرة، وفي هذا المضمار نذكر المجاهدة "جميلة بوحيدر" التي ألقي القبض عليها في القصبة في الجزائر من طرف قوات العدو الفرنسي، وقد مورست عليها كل أشكال التعذيب، وخضعت لمحاكمة غير عادلة، ولم يثن ذلك من عزيمتها الثورية، وظلت صامدة في وجه آلة التعذيب، ولقد لقيت محاكمة هذه البطلة ردود فعل قوية في الداخل والخارج، وتكلم الإعلام الخاص بالثورة أو حتى الإعلام الأوربي على هذه البطلة، وخرجت مظاهرات في العديد من الدول مستنكرة سياسة التعذيب الفرنسي مدعمة الثورة الجزائرية. [2]

ومما تأكده الثورة مشاركة المرأة للرجل في الكفاح النضالي، وقد أثبتت قدرتها في مواجهة الاستعمار، حيث تقدم لنا الأدبية السيدة (زهور ونيسي) في روايتها (من يوميات مدرسة حرة) حدثا يبلور صورا من النضال في حرب التحرير، وركزت على مشاركة المرأة في الثورة ومقاومة الاستعمار إلى جانب أخيها الرجل، ولم يقف الحدث عند معارك

---

(1) الدكتور صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص 18.
(2) د.حفظ الله بو بكر: الدور العسكري للمرأة الجزائرية بان الثورة التحريرية 1954- 1962، جامعة باتنة.

الفداء، وإنما امتد ليشمل الصراع بين الغزو الثقافي التبشيري وبين المدارس العربية الحرة، ثم التأكيد على الهوية الوطنية للشخصية الجزائرية.

وفي هذه الرواية تظهر (المعلمة) بدورها النضالي انطلاقا من عملها في مدرسة حرة، وممارستها للنضال سرا وعلانية، فهي عضو في جبهة التحرير، وشخصيتها الوطنية تؤكد هذا الدور الذي اتخذ من المدرسة مسرحا للنضال، فهي للعلم والتخطيط الثوري ومخبأ للثوار، ومقر للاجتماعات، ولم تكتف بذلك بل تشارك هذه الشخصية في مظاهرات ديسمبر 1960، وهي تعي ما تقوم به (إنها مسؤولية تجاه الكلمة والفعل المعروفين)، و زهور ونيسي، أكدت على دور المرأة في حرب التحرير، وإسهامها الفعال في الثورة، ولكنها تتكر دور الرجل الذي كان الهدف في المقاومة، وإذا كان (مصطفى) في الرواية قد رفض ورقة الإعفاء من السجن مقابل اعترافه بأنه مخطئ فإن "صفية" قالت للضابط في معتقل (بني سوس) الذي حاول أن يعرف منها أسماء بعض الذين قادوا المظاهرات: (اذهبوا إلى الحي.....ودقوا الأبواب، بابا...بابا، فكل الشعب خرج وتظاهر دون قيادة أحد).

وفي رواية (الطموح) لمحمد العالي عرعار، يبدوا البطل (خليفة) مشغولا بحرية الإنسان، فهو لا يقرر الزواج من الفتاة (طيبة) إلا بعد اختبار أفكارها...ولذلك لم يتم هذا الزواج.

وعندما التحق (خليفة) بالحل تعرف على الممرضة (سعاد) التي تقوم بمعالجة المصابين وتحمل السلاح، مما جعل (عرعار)، يركز على شخصية سعاد التي أقنعت خليفة بالزواج منها، كما أنها تعرضت معه لأكثر من هجوم للأعداء، وقد استشهدت بينما هو أصيب، ونقل إلى السجن ثم إلى المستشفى، وهناك يتوفى. [1]

ولم تكن هذه الروايات فقط التي تناولت معركة التحرير، وإنما هناك روايات عدة، كانت أحداثها تدور حول ثورة نوفمبر، وقد شاعت الموضوعات السابقة بشكل عام منها

[1] احمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص92.

رواية (المؤامرة) لمحمد مصايف، ورواية (كان الجرح ويا ما كان) لمحمد الأخضر عبد القادر السائحي، وفي الرواية الأخيرة يقول "السائحي" على لسان بطل روايته (لقد أبدع الشعب الجزائري بنضاله المستميت كل ما يثير الإحساس بجمال الثورة وبانتصارها الحتمي، لقد مجدت ثورة الجزائر بطلا واحدا هو الشعب. [1]

ومما سبق نستخلص أن المرأة الجزائرية لعبت دورا باديا إبان الثورة التحريرية فكانت مجاهدة بمالها ونفسها والفدائية والمسبلة والمناضلة، التي قامت بواجبها بكل إخلاص، وشملت تضحيتها كل الميادين، إذ كافحت قوات العدو الفرنسي في الأرياف والجبال والمدن والقرى كجندية في جيش التحرير، كما عالجت المرضى والجرحى من المجاهدين في المراكز الصحية، وتعرضت إلى السجن والاعتقال والتعذيب والتنكيل والاغتصاب، فكانت مثلا لكل نساء العالم في التضحية والفداء .

وضعية المرأة بعد الاستقلال:

لقد كانت ظروف الحرب ظروفا خاصة بحيث أن أحدا لم يكن في استطاعته أن يتدخل ليفرض قيودا على درجة ومساهمة المرأة في المعركة، وإن مسألة المجاهدات لم تهمل إن كانت أهملت، وقد سببت فترة ما بعد الاستقلال خيبة أمل ومرارة كبيرة لدى النساء الجزائريات، فلقد وجدن أنفسهن بين يوم وليلة يحرمن فيها بنفس السرعة التي تحررن فيها عند اندلاع نار الحرب، من معظم المكتسبات التي حصلن عليها.

وفي مقال لأحد الصحفيين يصف فيه المرأة الجزائرية بعد ثمان سنوات من تاريخ الاستقلال ورد ما يلي: " لقد بقية المرأة تعتبر أشبه بالسلعة، فهي تقف بعيدة عن مجرى الأحداث خارج حياة بلادها، ولا تتمتع حتى قانونيا بمنزلة إنسان بالغ أنها تعيش حياتها كلها تحت نفوذ وسيطرة الرجل ممثلا بأبيها أو أخيها أو زوجها، وتؤكد "فاضلة مرابط"

[1] المرجع السابق، ص92.

على هذه الملاحظة، كما تبين أن الحرب لم تغير الأب ولا الأخ...كل شيء يحدث وكأنهم يشرعون في تعويض الماضي والحريات التي وقف عليها أو تلك التي انتزعت. [1]

وعلى الرغم من أن المرأة الجزائرية قد حققت بعض مطالبها من خلال القوانين حيث أكد كل من "برنامج طرابلس" و "ميثاق الجزائر" على مساواة الرجل بالمرأة، إلا أن هذه المساواة لم تحقق كاملة، فقد بقيت المرأة وسيلة للمتعة أو للخدمة قبل كل شيء.

فكما كان انضمام النساء إلى جبهة التحرير الوطني خلال الحرب قد قوبل بكل ترحيب، فإنهن يتوقعن أن يسند إليهن، وبنفس الحماس، المشاركة في بناء الجزائر المستقلة، وكانت مشاركة المرأة في النضال قد لاقت اعترافا رسميا كما يتضح في هذا التصريح: "إننا نحي باعتزاز وإعجاب الروح الثورية الشجاعة للفتيات والنساء والزوجات والأمهات...اللواتي يشاركن بفعالية...في الحرب المقدسة من أجل تحرير الوطن."

وقد أبدى بعض الرجال آمالا كبيرة في أن يرو المرأة تتابع تحمل مسؤولياتها كمواطنة جزائرية أيضا في مرحلة ما بعد الاستقلال، غير أن أيا من هذه التشجيعات لم تظهر، وعندما تحقق الاستقلال لم تسمع النساء إلا وعودا معسولة، وهكذا وبصورة تدريجية "أخذت تتسع الفجوة بين الوعود والواقع وبين القانون والتطبيق".[2]

ويبدوا أن السلطة الحاكمة لم تذهب بعيدا في ميدان تحرير المرأة، ومساندتها وذلك لجملة من الأسباب يمكن إجمالها فيما يلي:

1. الصعوبات التي كانت تعاني منها البلاد وخاصة المالية منها، جعلت البلاد لا تهتم إلا بالمشكلات الاقتصادية، واضعة حقوق المرأة وواجباتها ضمن الأمور الداخلية البسيطة التي يمكن التفرغ لها فيما بعد.
2. الجيل القديم من النساء أنفسهن لم يكن ينقدن بسهولة أمام تيار التحرر والمساواة بل قد أثرن سلبا على بناتهن.

---

[1] عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي في الجزائر، ص209.
[2] نفسه، ص211..

وبذلك بقيت المرأة في وضعية أقل بكثير من الطموحات التي كانت قد رسمتها، وقد كان هذا الوضع موضوعا لبعض الكتابات نذكر منها على سبيل المثال كتابين "لفضيلة مرابط" هما: "المرأة الجزائرية " و"الجزائريات" ولقد تحدثت فضيلة مرابط عن الذين يستخدمون الدين ضد المرأة، في حين أن الدين في حقيقته يعد ثورة للتحرير، وتتمنى هذه الكاتبة أ ن لو يشهد الدين الإسلامي عملية تجديد وتطوير. [1]

بالرغم من أن هذين الكتابين لا يمثلان كلية المجتمع النسوي الجزائري ومشاكله، إلا أنهما يلقيان الضوء على هذه المسألة، ويعالجان العديد من المواضيع المشمولة بهذا الشأن، ولهاذين الكتابين أهميتهما الإضافية لأنهما كتبا من قبل امرأة جزائرية، وكونها ترتبط بالوضعية عن كثب، فهي تعرف وتتفهم أخواتها أكثر من أي شخص آخر، وإذا قارنا هذين الكتابين، نلاحظ أنه هناك اختلاف بينهما، حيث أن الكتاب الثاني "الجزائريات" يعتبر أفضل من الأول، ذلك أنه يتحدث بلهجة أقل عنفا ولوما، رغم كون لهجته أكثر جرأة وصراحة في الانتقاد الديني، ونرى أن "مرابط" تستنكر الوضعية الجائرة المتمثلة في القانون الإسلامي، الذي يسمح للرجال بأن يتزوجوا من الأوروبيات، في حين أن يحرم على النساء أن يتزوجن من الأوروبيين، فإذا ما تزوجت فتاة جزائرية من رجل أوربي، وهذا قلما يحدث، فإن ذلك يعرض الفتاة إلى الاستنكار الشديد من قبل المجتمع.

وقد أعدت "مرابط" هذه الدراسة عن وضعية المرأة الجزائرية على ضوء الوسائل التي كانت تلقاها عن طريق صحيفة الجزائر–الجمهوري– وعلى أساس المعلومات التي جمعتها في تقاريرها ومقابلاتها الصحفية، كما أنها استفادت كذلك من الوسائل التي كانت تتلقاها من خلال برامجها الموجهة إلى الشباب في الإذاعة الجزائرية.

ويركز كتاب المرأة الجزائرية على حقيقة أن المرأة الجزائرية، تعتبر ضحية للمجتمع وللدين، وحيث أن المجتمع الجزائري يعتبر مجتمعا السيادة فيه للذكور أي أنه مجتمع

[1] الدكتور صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص19.

الرجال ومن أجل الرجال، ولذلك فإن تحرر المرأة لن يتحقق حتى تتغير وتتبدل عقلية الرجل، وحتى يعتبر المرأة مخلوقا مساويا له وليست شيئا أو سلعة خاصة لأهوائه.

وبينما يساوي القانون بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، يفرق الدين بينهما، فيضع المرأة في مركز أدنى من الرجل مثل (الميراث، الزواج، أهمية شهادتها...إلخ)، وقد استنكرت "مرابط" بشكل خاص أن تحرم المرأة من استقلاليتها، ذلك أنها تنتقل من دكتاتورية أبيها إلى دكتاتورية أخيها ومن ثم إلى دكتاتورية زوجها، ومن الطبيعي أن يعتبر التعليم الوسيلة الممكنة التي تساعدها على التحرر، لكن هذا التعليم ممنوع عليها، وإذا ما سمح لها بالتعليم، فلا يكون حتى من الثانية عشر أو الخامسة عشر. [1]

[1] المرجع السابق، ص212.

المبحث الثاني: القضايا السياسية (الثورة الزراعية)

إن الإحاطة بكل الجوانب السياسية أو بمعظمها، التي سادت قبل الاستقلال، والتي كان لها دور رئيسي في ظهور الرواية الجزائرية، واكتمال مجالها، أمر في غاية الصعوبة، وبناء على ذلك، كان من الضروري اللجوء إلى بعض العمليات المنهجية التبسيطية التي يمليها البحث الأدبي، وهي تقسيم هذه الفترات التاريخية ولو على مستوى شكلي، مع العلم مسبقا، أن هذه الفترات هي حلقات مترابطة في سلسلة واحدة ورئيسية، هي التاريخ.

ومن بين هذه الفترات أولا مرتبطة تحديدا، بشؤون الفلاحين 1871، التي كانت لها مساهمات عظمى في تشكل الفكر الاشتراكي في الجزائر، وتكريسه من خلال الإسهامات التي قدمتها بشكل مباشر، أو غير مباشر بتراثها الثوري.

فاحتكار أجود الأراضي، والمغروسات الأكثر مردودا، وتوجيه الإنتاج الزراعي بما يتلاءم والمصالح الكبرى للاستعمار، فمعظم الأراضي الخصبة، إن لم نقل كلها كانت بأيدي الاستعمار، الأمر الذي كان لا بد أن يفجر بعد سنوات، ثورة الفلاحين 1871 في الجهات التي تضررت كثيرا، فالمساحات الواسعة في معظمها كانت في أيدي الاستعمار الأوروبي الذي كان يكتفي بالطرق الإنتاجية التي سيكون مردودها سريعا، فاستغلال الكروم تشغل الكثير من الأراضي الفلاحية الصالحة للزراعة. [1]

فمع نهاية المقاومة مع الأمير عبد القادر، ظهرت إلى حيز الوجود انتفاضات صغيرة لم تسمح لها الظروف الموضوعية بأن تأخذ أبعادها الكاملة من بينها، تلك التي وقعت سنة 1859، ثم تبعتها انتفاضة "الهدنة في سنة 1860، ومع حلول سنة 1864، نهضت كافة القوى الوطنية التي استيقظ فيها من جديد حماسها القومي، ووقفت في وجه الإمبريالية الفرنسية، في انتفاضة سميت فيها بعد بثورة "أولا سيدي الشيخ" ولم تكن هذه

[1] واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص17.

الثورة في واقع الأمر إلا استئنافا للمعارك التي شهدوا بعضها مع الأمير عبد القادر وتأثروا بها. [1]

وما كاد الفرنسيون ينتهون من تصفية ثورة "أولاد سيدي الشيخ" حتى اندلعت في 14 مارس (آزار) 1871، أي مباشرة بعد الهزيمة الفرنسية أمام الألمان، ثورة الفلاحين التي قادها (الحاج محمد المقراني) الذي صادر الاستعمار كل أراضيه.

وقد استغل الفلاحون، ضعف فرنسا وهزيمتها، ليلحقوا بها ضربة قاسية، ويكون (المقراني) بذلك قد أسهم في إعطاء نفس جديد لهذه الثورة، الأمر الذي جعلها أكثر تنظيما وأكثر فاعلية من سابقاتها، فتهديدات الاستعمار له، بنزع أراضيه، وحسه الوطني والديني، كلها مجتمعة، دفعت المقراني إلى رفض كل هدنة أو مصالحة مع البورجوازية الفرنسية التي استولت بفعل القوة على أحسن الأراضي الفلاحية وشردت العديد من الأسر في البراري، وهذا ما يثبت مرة أخرى، أن الثورة الزراعية هي النتاج الطبيعي لنضالات قطاعات واسعة من الفلاحين الفقراء.

وإذن فثورة الفلاحين 1871، هي ثورة (الأرض) التي سلبت بدون قانون، من الفلاحين الجزائريين الذين لم يكونوا يكسبون إلا الفقر والجوع، فقد استولت الدولة الفرنسية بوصفها وارثة لحقوق السيادة، "على أراضي البايلك "، ثم قسمتها ووزعتها على المعمرين الفرنسيين.

فهذه الثورة 1871 التي صادفت ثورة العمال في باريس، هي المحاولة الواعية لاستيراد الحقوق المهضومة، وأخذ زمام المبادرة السياسية لتجميع كل القوى الحية في البلاد ومواجهة الإمبريالية الفرنسية بكل قوة، هذه الامبريالية التي –كلما ذكرنا– عملت كل ما بوسعها لتفتيت البنى القديمة لهذه الزراعة بهدف خلف اقتصاد كولونيالي، المستفيد الأول والأخير منه هو البرجوازية الفرنسية.

[1] المرجع السابق، ص23.

فكان من نتاج هذه الأوضاع المتردية، أن دخل الفلاح الجزائري مرحلة جديدة أجبرته على دخول "غمار الحرب"، فقبل الثورة وبعدها لم يعد الفلاحون،كما سنرى، "يملكون سوى الأراضي الرديئة الصخرية، وكان الثلث من هؤلاء السكان قد أصبحوا من البروليتارية الرثة البائسة دون عمل منتظم، لا يجدون الخبز غي أغلب الأحيان".[1]

وكل هذا أدى إلى تغيير جذري في الواقع الجزائري نتيجة التطبيق الاشتراكي، والعمل بالثورات الثلاث الزراعية والصناعية والثقافية، وعلى الخصوص الثورة الزراعية، وليس من السهل الوقوف في وجه الإقطاع والاستغلال بسبب تركة الاستعمار الفرنسي، فرواية (ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوقة تثير قضايا كثيرة تتصل بالأرض والمرأة، حيث تناولت الرواية بدايات الثورة الزراعية، وعمقت المفهوم الأيديولوجي لهذه الثورة، وركزت على محاربة الإقطاع وعملت على طرح البديل.

وليست (ريح الجنوب) لابن هدوقة تتحدث وحدها عن الإقطاع، وإنما روايته الثانية (نهاية الأمس)، أبرزت قضية الأرض، وذلك من خلال الصراع القائم بين الثورة من جهة، والإقطاع من جهة أخرى.

وإذا كانت الواقعية سمة واضحة للرواية الجزائرية، فإن الواقعية الاشتراكية تتجسد في روايات (الطاهر وطار)، وهذا من خلال معاناته للواقع ففي روايته (الزلزال)، يعيش الحدث قضايا الثورة الزراعية بجزئياتها، فهو يطرح حدثا رئيسيا هو تأميم الأرض، حيث يقدم فيها شخصية (بو الأرواح) الذي تناهى إلى سمعه نبأ التأميم، فقصد قسنطينة ليوزع أراضيه التي امتلكها بطرق غير شرعية.[2]

وهناك محور ثان له علاقة بالتطبيق الاشتراكي والثورة الزراعية، والذي يجسد الحملات التطوعية لطلبة الثانويات والجامعات، والوقوف إلى جانب الفلاحين والعمل معهم، وبث روح التعاون، وشرح قوانين الثورة الزراعية، وتوعيتهم سياسيا واجتماعيا،

---

[1] المرجع السابق، ص ص 25- 26.
[2] أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص93.

وتأتي بشكل خاص على هذا الواقع رواية (العشق والموت في الزمن الحراشي) للطاهر وطار، مصورة جزئيات لشرائح من فعالية هذه الثورة.

وقيام الطلبة من متطوعين ومتطوعات بهذه المهمة إيمان بأي هذا العمل مكسب جماهيري، وانتصارهما هو انتصار الثورة الزراعية.

وفي رواية (الجازية والدراويش) يضعنا "عبد الحميد بن هدوقة" أمام حدث فيه أكثر من موضوع يعالج من خلاله واقع الأرض والثورة الزراعية، ويقف عند الطلبة الذين تطوعوا للوقوف إلى جانب القرويين الذين يرون في "الجازية" رمز للصمود. [1]

فهي لا تتحدث كسائر الناس، لكن (الأحمر الطالب المتطوع استطاع أن يبارز الجازية، والجازية عند ابن هدوقة رمز لكل من آمن بالعمل، وهذا ما جعل شخصية "عايد" يقول: (الجازية حلم، والأحلام لا تتحقق لكل الناس، وأنا يا عم عاهدت أبي أن أعود، وقد عدت، وعاهدت أبي أن لا أزرع بذوري في الريح، ولكن في هذه التربة الطيبة). وإذا كان انتصار هذه الحملات التطوعية لصالح الثورة الزراعية، فإنها أدت إلى انتشار الثقافة في الريف، وعملت على بناء المدارس، ورفع مستوى الفلاح ثقافيا واجتماعيا وسياسيا، وجعله ملتزما بالعمل البناء من أجل حياة أفضل.

وهذا الحدث يقودنا إلى مشروع الألف قرية اشتراكية، وقد بدأت به الجزائر في السبعينيات إثر تطبيق الثورة الزراعية، فأخذت القرى الجديدة تبنى في كافة أنحاء الريف الجزائري، وقد أنجزت الجزائر المئات منها، ذلك الذي دفع الروائيين إلى تصوير الصراع بين الإقطاع والقضاء عليه ، ثم العمل على قيام هذه القرى و الانتقال إليها.

فالحدث في رواية (الأكواخ تحترق) يتبلور في وقائع من معاناة الثورة الزراعية بما في ذلك تأميم الأراضي، وتوزيعها على الفلاحين، بعد أن أخذت من الإقطاع وأعيد بناؤها من جديد يسمح للفلاح أن يحيا في حال أفضل.

---

[1] المرجع السابق، ص 95.

أما رواية (ناموسة) لشريف شناتلية، فإنها تبين أن الأب ما إن رجع من فرنسا حتى طرح أمامه موضوع الانتقال من المدينة إلى الريف، بعد أن عانى ما عانى، إنها القرية، ولما وصل إليها لم تكن كما تركها، وإنما أصبحت قرية نموذجية شملتها الثورة، وطرحت الثورة الزراعية تقنية التسيير الذاتي للمؤسسات، وقيام التعاونيات الفلاحية، وعاش الأديب الجزائري هذه القضية التي مسته، وعبر عنها في فنونه، وبشكل خاص في العمل الروائي، فجاءت رواية "نجمة الساحل" لعبد العزيز بوشفيرات على حدث يصور فيه مشكلات الواقع، وتمرد الفلاحين على الإقطاع، ويجسد بشكل واع الصراع بين من يخدم الأرض وبين من يستغل نتاجها، ويمتد أحدث ليتناول العمل في إحدى مزارع التسيير الذاتي. [1]

[1] المرجع السابق، ص 98.

المبحث الثالث : القضايا الثقافية (اللغة الوطنية)

إن اللغة العربية خضعت لعملية تطور مشوهة، وكان الاستعمار على رأس ذلك فمثلما حورب الشعب الجزائري، كشعب طالب بكرامته وحريته، حوربت اللغة العربية كظاهرة اتصال وتواصل بين الناس مستهدفا إبادتها، ففي ظل هذه الظروف، بطبيعة الحال، كان لابد أن تنمو أعمال أدبية خجولة ومحدودة جدا، ساعدها في ذلك النمو، الصراع المر الذي كانت تقوده مختلف الأحزاب والجمعيات الدينية.

فنجمة شمال إفريقيا، منذ الإعلان عن برنامجها النضالي، عملت على تثبيت اللغة العربية وتكريسها في المدارس الخاصة وفي الشوارع، ظهر ذلك واضحا في المادة الثامنة من البرنامج نفسه، بحيث ركزت كثيرا على ضرورة التعليم باللغة العربية الفصحى، "التعليم الإجباري للغة العربية، وحق كل الجزائريين في التعليم على جميع المستويات، وخلق مدارس عربية جديدة، كل الأعمال الرسمية يجب نشرها بالعربية والفرنسية معا في نفس الوقت".

كانت هذه النقطة الثامنة (من القسم الأول) من البرنامج السياسي لنجمة، والنقطة نفسها طرحتها بإلحاح في المادة السادسة (من القسم الثاني) " حرية التعليم بالعربية وإجباريته على جميع المستويات".[1] وهذا الطرح المكرر عدة مرات في برنامج واحد، يعني أن هناك مسألة أساسية تريد النجمة التأكيد عليها، وهي أن اللغة العربية مبدأ أساسي في حياة الشعب الجزائري لا رجعة فيه، وفرضه على الساحة الحياتية اليومية، مرتبط بالنضالات التي كانت تقودها مختلف الفئات الشعبية وعلى كافة الأصعدة والمستويات.

ومن هذه الفقرات الصغيرة التي احتواها برنامج النجمة، يتضح أمران جد مهمان في حياة الحركة الوطنية.

1. الأول مرتبط بموقف الوطنية من قضية اللغة، فقد وقفت بجزم من هذه القضية وحسمتها نهائيا.

[1] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص45.

2. أما الأمر الثاني فمرتبط بالوضعية الثقافية في الجزائر، فلم تكن أحسن من الواقع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، فقد عمل الاستعمار على زعزعة الأركان الثقافية للشعب الجزائري، ودفعه مجبرا إلى أن يرث، "تركة ثقيلة من ثقافة الإقطاع وثقافة الكولون"، لتبدأ بذلك مأساة ثقافية لشعب أضاعوا له لغته التي تشكل جزءا من مقوماته التاريخية والحضارية. [1]

فقد عمل الاستعمار على تضييق الخناق على دور التعليم والكتاتيب وحاول القضاء على مختلف المراكز الثقافية العربية والإسلامية، وتحويل العديد منها إلى "معاهد لتعليم الثقافة الفرنسية" ومراكز للتبشير وثكنات للجيش، وسكنات للمستوطنين والباقي هدمته بدعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية وبناءها بطرق عمرانية عصرية. [2]

فلم يرحم الاحتلال خزائن الثقافة، فنهب جنوده الكثير من المخطوطات العربية القيمة، وأتلف بعضها، وذلك بشهادة رحالة ألماني هو موريس قاغنز الذي أقام في الجزائر مدة طويلة وذلك بعد احتلالها بست سنوات، وشارك في الحملة على مدينة قسنطينة، وذكر قاغنز في كتابه "رحلات في ولايات الجزائر" أن جنود فرنسا قد أتلفوا عددا كبيرا من المخطوطات الفنية التي عثروا عليها في دار ابن عيسى بقسنطينة، وتساءل لماذا يحرم الجزائريون من هذه المخطوطات التي تزودهم بالمعرفة، ثم تحدث أحمد طالب الابراهيمي مطولا عما اعتبره تخريبا للإرث الثقافي في الجزائر قال: "فبعد أن استطاع المستعمر إيجاد شعب عاجز، عن إعادة صورة ماضية، وبعد أن أطفأ فيه وعيه لقيمته وقيمه، ثبت في ذهنه وبواسطة المدرسة الفرنسية عادات جديدة في التفكير والشعور والعمل. [3]

---

[1] المرجع السابق، ص46.
[2] نسيمة يعقوبي: صورة الثورة في ثلاثية محمد ديب، رس، ماجيستير، قسنطينة، 1883، ص263.
[3] نور سليمان: الأدب الجزائري (في رحاب الرفض والتحرير)، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص40.

ويقول الكاتب أيضا: إن فرنسا لم تكتف بتعليمهم لغتها وترسيخ ثقافتها في ذهنهم ونفسهم، بل علمتهم أيضا أنه ليس هناك شيء خارج هذه الثقافة، وأن تاريخ الجزائر لم يبدأ سنة 1830، ويذكر أن كلمة عربي كانت مذكورة في كتب التاريخ عندهم مرة واحدة وذلك عند ذكر هزيمة العرب في "بواتيية" على يد "شارل مارتل"، وقامت ردات الفعل في وجه محاولات طمس الماضي بصدور كتب في التاريخ الجزائري والعربي بقلم الكتاب المغربيين، ومنها كتاب "البنوع المغربي" لعبد الله كنون الذي صادرته السلطات الفرنسية سنة 1938. [1]

فمنذ الاحتلال، بدأ هذا التعليم، ولكن المسألة كما ذكرنا آنفا، بقيت محصورة في تحفيظ القرآن، أو قراءة بعض الكتب في قواعد وأصول العربية والفقه والتوحيد في الزوايا، بالظروف التقليدية .

وبالرغم مما يمكن أن تجره هذه الطريق التعليمية من مشاكل، فإنها كانت أحسن من لا شيء، بل وسيلة من وسائل النضال اليومية والتضحية بالوقت لتعليم الناس، على الرغم من محدودية فوائدها، وكنا نجد بعضا من هؤلاء المعلمين، من كان يعمل مجانا، فقط للحفاظ على اللغة عربية التي سخر المستعمر كل الوسائل لإبادتها. [2]

ولقد كانت فرنسا تبرر احتلالها للجزائر بأن لها رسالة تحضير وتثقيف الشعب الجزائري، ونحن نقول أن رسالة فرنسا "التمدينية" تتمثل في نشر الجهل بين الجزائريين، فقد كان من بين كل مائة طفل يتعلم اثنان، وعليه فقد امتلأت الطرقات بضحايا الجهل والأمية من الشباب الذين اضطر أكثرهم إلى العمل ما بين المناجم والحقول، ومسح الأحذية، وهذا يدل على أن تعليم الأهالي كاد يكون مهملا من طرف الحكومة التي عمدت على تجريد الشعب من قوميته وذلك بالقضاء على الثقافة الوطنية، بإلغاء المدارس والمعاهد العربية التي كانت احدى حلقات العلم والثقافة، ولم تقف سياسة التجهيل عند هذا

---

[1] المرجع السابق، ص41.
[2] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 47.

الحد بل تطاولت يد المستعمر إلى المساجد التي كانت مقرا للعبادة والعلم، فاستولت عليها حتى يتسنى لها القضاء على اللغة العربية التي اعتبرت ميتة، وجعل اللغة الفرنسية لغة الدارس منذ قرار 1834 ونتيجة لهذا التضييق الشديد على مدرسي العربية هاجر معظم الأساتذة من البلاد، ولم يبقى من المدارس إلا عدد محدود، وقد تأثرت الثقافة بهذه الأحداث التي خلقهاالدخيل.

وهكذا فقد المثقفون الجزائريون تدريجيا اتصالهم بماضيهم نتيجة لفقدانهم الكتب والمدارس بلغتهم، وبذلك انحصر التعليم في الزوايا، وكان لهذا التعليم الفضل في الحفاظ على اللغة العربية، وكانت مناهجه قديمة تعتني بتدريس النحو والصرف، والفقه. [1]

وبالرغم من التخلف الكبير الذي كان يعاني منه التعليم المحلي في المساجد والزوايا، فإنه لم ينج من ضربات المستعمر، التي أوشكت أن تقضي عليه، لكن الحرب العالمية الأولى، وعودة العديد من أفراد البعثات التعليمية من تونس والمشرق العربي، حالت دون ذلك، يقول (ناصر): "لقد أخمد الاستعمار الفرنسي جذوة العلوم والمعارف تحت أنقاض المساجد والكتاتيب، والزوايا التي دمرها، فلم تبق منها سوى جمرات ضئيلة في بعض الكتاتيب دفعتها العقيدة الدينية، فحافظت على لغة القرآن ومبادئ الدين الحنيف في تعليم بسيط وأساليب بدائية، غير أن عواصف الحرب العالمية الأولى الشديدة نفخت روح الحياة في تلك الجمرات فبعثتهامتأججة من جديد وأن حملة المشاعل من جامع الزيتونة وكليات المشرق العربي يحملون النور معهم، وينيرون طريق النهوض واليقظة أمام الأمة المحرومة".

ويرى الدكتور عبد الله ركيبي أن التعليم المحلي قد أفاد اللغة العربية، وحافظ على بقائها، وإن لم يساعدها على التطور لتخلفه وقدم مناهجه. [2]

---

[1] الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري منذ 1945-1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص11-12.

[2] عماد بن زايد: النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص19.

وبذلك اعتبر المستعمر المساجد والزوايا مراكز تهدد وجوده واستقراره، لأنها تغذي عقول قاصديها بكره الأجنبي، فأغلقها الواحدة بعد الأخرى، وفي سنة 1890، لم يكن في الجزائر سوى المدارس الرسمية الثلاث، في مدينة الجزائر، وقسنطينة وتلمسان، وفيها كلها أربعة وثمانون تلميذا وهذا من دلائل تدني مستوى التعليم وانحساره واعترفوا بعض الموظفين الفرنسيين بالواقع، فقال أحدهم: "إن فرنسا قد جعلت مستوى تعليم المواطنين أدنى بكثير من المستوى الذي كان قائما قبل الاحتلال. [1]

وفي سنة 1904، أصدر الاستعمار قانونا يعتبر من أحط القوانين التي سنها في محاولة منه لتطبيقها على الشعب الجزائري، ومحتوى هذا القانون يتلخص في منع أي معلم عربي من أن يتعاطى مهنته إلا برخصة تحدد نشاطه وفق شروط أهمها:

1. اقتصاد التعليم على حفظ القرآن.
2. عدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعوا إلى التحرر من الظلم والاستبداد.
3. استبعاد دراسة التاريخ العربي الإسلامي والتاريخ المحلي، وجغرافية القطر الجزائري والأقطار العربية الأخرى.
4. استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه. [2]

وأعقب محاربة اللغة العربية بمختلف الاشكال والوسائل، وتطبيق سياسة استعمارية فرنسية، تستهدف مقومات الشعب الجزائري، وفرض لغة فرنسية لا تسهم أبدا في تطور الذهنية العربية وتفتحها، فحتى المدارس الموجودة على قلتها، لم تكن إلا من حظوظ أبناء القيادة والباشوات، وخلائق أخرى من نفس الانماط، والتي كانت تحمل روحا استعمارية أكثر من المستعمر نفسه.

ومع بداية العقد الرابع، من القرن العشرين، تبلورت أكثر رؤية الحركة الوطنية، ومعها جمعية العلماء المسلمين، التي بنت ركائز برنامجها على مبدأ المحافظة على

---

[1] نور سليمان: الأدب الجزائري، ص42.
[2] واسيني الاعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 46 .

الشخصية الجزائرية أمام الغزوة الشرسة، التي كان يقودها الكولون، وكان هذا يعني بالنسبة للجمعية الحفاظ على الإسلام وعلى لغة القرآن بالدرجة الأولى، والتي كانت مهددة إما بالانقراض أو بالتشوه، إذ كان من أهداف الجنرال ديغول، ووراءه الجهاز الرأسمالي بكامله، هو البحث على سياسة من شأنها أن تبقي على تبعية الجزائر الثقافية لفرنسا، إلى جانب التبعية الاقتصادية والسياسية، فيصبح من الصعب على الجزائر المستقلة، التخلص منها بسهولة، فالإبقاء على هيمنة الثقافة الكولونيا لية، معناه إبقاء مقاليد الأمور فكريا، بين أيدي رجال تابعين للثقافة الرأسمالية، يقومون بدور الشرطي الاستعماري على جميع المستويات، من هنا ليس في الأمر غرابة، إذ وجدنا أن جبهة التحرير الوطني، كانت حريصة كل الحرص على الاستمرار في نشر التعليم العربي واستعمال اللغة العربية والتعامل بها بين المواطنين، فجعلت منها لغة الإدارة والاتصالات الرسمية، ولغة التعليم.[1]

حيث أسست في تبسة سنة 1913 مدرسة عربية عصرية لتعليم مبادئ اللغة والدين، فقاوم الاستعمار مؤسسيها وأغلق أبوابها، واعتبر هذا اعتداء صريحا على نفوذه، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أحس الجزائريون شيئا من الحرية، فأنشأوا عددا من المدارس الابتدائية، ولقد ضيقت الحكومة على العلماء في فتح المدارس وفرضت شروطا صعبة لبقائها، وكان رد العلماء على هذا إصدارهم إفتاء بعدم جواز الصلاة وراء الأئمة، الذين هم صنائع الاستعمار، فقاطع الكثيرون من أفراد الشعب المساجد التي تشرف عليها السلطة الفرنسية. ولم تكن هذه السلطة تتورع من استعمال أساليب العنف والسجن لتنفيذ أوامرها و قوانينها، فسجنت أربعة من جمعية العلماء بتهمة موجهة إليهم من طرف الحاكم العسكري وهي أنهم فتحوا مدارس عربية في الصحراء الجزائرية وباشروا التعليم من غير رخصة. [2]

---

[1] المرجع السابق، ص 48.
[2] نور سليمان: الأدب الجزائري، ص42.

ومن هنا تجدر الإشارة إلى أن قادة الجبهة شجعوا الدور الخاصة للتعليم حتى كانت تمول بعضها من رصيدها المالي والنضالي، فقد كانت المدرسة تمثل الطريق الثاني لخلق المناضل الثوري والمثقف في آن واحد.

فقضية التعريب إذن ضلت تاريخيا مرتبطة بنضال الجماهير الكادحة التي كان وما يزال من مصلحتها أن تسترد الجزائر لغتها التي حاربها المستعمر، وتحاول تسخير إمكاناتها المتاحة لتحسين وضعية التعليم في الجزائر، وتوجيهه بما يتفق مع طموحات البلاد. [1]

ويعترف أبو القاسم سعد الله في مقدمة كتابه "الحركة الوطنية الجزائرية" أنه أحد ضحايا الاستعمار، فكان عليه أن يهاجر لكي يتعلم لغة بلاده، ثم إنه لم يدرس تاريخ الجزائر، فهو كبقية الجزائريين لم يكن يعرف عن ماضي بلاده أكثر مما يعرفه عن رجل الشارع الأمريكي أو الصيني، فالجزائريون المثقفون بالفرنسية لم يدرسوا إلا تاريخ فرنسا في كتب اعتادت أن تبدأ صفحتها الأولى بعباره "إن أجدادنا هم الغاليون"، وأما عدد الكتاب والأدباء الجزائريون الذين لم يجدوا إلا التعبير بالفرنسية فكبير، ومنهم على سبيل المثال، محمد ديب، وفرحات عباس، كاتب ياسين، مولود معمري، الذين تشير إليهم في مكان آخر من هذه الدراسة، ليس غريبا أن تكون ضمن خطة الاستعمار فرنسة الثقافة الجزائرية، وجعل لغة المحتل لغة البلاد، مما يقوي اتصال فرنسا بالجزائر، كما أنه يزيل الحواجز التي يقيمها، الاختلاف في اللغة بين شعبين متعايشين على أرض واحدة. [2]

حيث تجلت محاولات إضعاف اللغة العربية وإبعاد مناخها عن الحياة الجزائرية في نشر التعليم بالفرنسية، وفي تشجيع الاتصال بالحضارة الأوربية بواسطة الكتب والصحف، ثم من بعد بواسطة السينما والراديو، والتيلفزيون، كما تجلت تلك المحاولات في اختلاط الجالية الفرنسية بالسكان وتسلطها عليهم، وفي هجرة الجزائريين إلى فرنسا، إما لتحصيل

(1) واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص48.
(2) نور سليمان: الأدب الجزائري، ص44.

العلم الغربي، وهؤلاء من القلة، أو هربا من ضيق سبل المعيشة، وهؤلاء يشكلون طبقة العمال، ولم تكن الصحافة كلها بالفرنسية، بل كان هناك صحافة عربية، معظمها تحت إدارة المستوطنين، أو تحت إشراف السلطة الحاكمة، ولكن هذه الصحافة غير الوطنية، كانت تخاطب القراء بلغة عربية مضطربة ركيكة، هي مزيج من العامية الفصحى و(الفرنسية المعربة)، وكان لها دور في تشويه سلامة التعبير وفي مسح اللغة العربية الفصحى. [1]

أما بالنسبة للغة الفرنسية فقد شكلت محورا هاما في الأدب الجزائري الحديث و المعاصر، وتاريخ الأدب العالمي يزخر بأمثلة عديدة من الكتاب الذين كتبوا بلغة غير لغتهم الأصلية، إما طواعية منهم أو أنهم كانوا مضطرين لذلك فرنسيين أو إنجليز.

فلقد شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ظاهرة ثقافية و لغوية متميزة، أثارت حولها جدلا كبيرا بين النقاد و الدارسين، منهم من عدها رواية عربية باعتبار مضامينها الفكرية والاجتماعية، وغالبية النقاد اعتبروها رواية جزائرية مكتوبة بالفرنسية، باعتبار أن اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي يكتسب بها الأدب هويته، ثم إن الكتابة الروائية الفرنسية قد ساهمت في نمو الأدب الفرنسي، أكثر مما ساهمت في إخصاب الأدب العربي. [2]

لقد كان للاستعمار الفرنسي على الجزائر والذي امتد من 1930الى 1962،أثر على المجتمع الجزائري بنواحيه المختلفة السياسية، الاقتصادية، الثقافية، وهكذا كان الأدب الجزائري و الرواية على وجه الخصوص رهينة هذا الواقع الذي سيطر عليه الاستعمار طويلا، فكان الروائيون الجزائريون شهودا على أوضاع مجتمعهم متفاعلين مع ما يجري حولهم .

وهكذا وجد الروائيون الجزائريون أنفسهم في مواجهة لغة الجانب "الأقوى" (آنذاك) فكانت اللغة الفرنسية سبيلهم لمحادثة هذا الطرف في ظل الظروف التي فرضها هذا

---

[1] المرجع السابق، ص 45.

[2] الأستاذة نوال بنصالح: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير(صراع اللغة والهوية)، ص220.

المستعمر على اللغة العربية بصفتها اللغة الأم، ولأن اللغة تعتبر الجزء الأهم من مقومات هوية الأمة، فقد استعملت فرنسا جميع الأساليب للقضاء على اللغة العربية، فقد كان غزو فرنسا للجزائر غزوا شاملا كان يهدف إلى التغلغل في أرض الجزائر و احتلالها، ولم يكتف منه الغزاة بالسيطرة على أراضيها ونهب خيراتها وإذلال أهلها فحسب، و إنما يذهبون فيه إلى أبعد من ذلك بالنيل من الأسس المعنوية و المميزات الحضرية للشعب الجزائري، و الطعن في عقيدته، وتشويه قيم تراثه و طمس معالم شخصيته، كان على منتجي الرواية باللغة الفرنسية، خلق مسافة لتأمل التاريخ ونقد الذات و نقد الآخر. [1]

وقد عالجت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، موضوعات عديدة أهمها : التعلق بالجانب السياسي، والاجتماعي، والثقافي، وهكذا وجد الادباء الجزائريون أنفسهم في مواجهة لغة الجانب الاقوى (المستعمر)، فكانت سبيلهم لمحادثة هذا الطرف، في ظل الظروف التي فرضها هذا المستعمر على العربية بصفتها لغة الجزائر – الأم –، ولان اللغة تعتبر جزءا هاما من هوية الامة، فقد استعملت فرنسا كل الاساليب للقضاء على العربية. [2]

وتبعا لهذه الظروف التي عاشتها، فقد ظهرت مدرسة شمال افريقيا المعبرة باللغة الفرنسية، والتي ضمت فئتين من الكتاب، الاولى فهي تمثل جزائريين من أصل فرنسي، ولدوا وعاشوا بالجزائر،[3]والثانية فكانت من الكتاب الجزائريين من أصل جزائري، والذين تمكنوا من أن يفرضوا أنفسهم في مجال الادب، بعد أن اتخذوا اللغة الفرنسية وسيلة للتعبير ومن بينهم:

1. مولود فرعون: وهو صاحب الروايات الشهيرة، ابن الفقير الصادرة 1953، الارض والدم والدروب الوعرة الصادرة سنة 1957، ويقول عنه أحد الكتاب "إيمانويل روبلس" : فرعون لم يكن انسانا طيبا وهادئا فحسب، بل أهم من ذلك، كان مثقفا، وكان يقرأ أكثر منا

---

[1] المرجع السابق، ص 222.

[2] محمد بن سمينة : في الادب الجزائري الحديث ، النهضة الادبية الحديثة (مؤثراتها، بدايتها، مراحلها)، مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003، ص 8-9.

[3] حنفاوي بعلي: أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار الغرب للنشر، (د ط)،(د ت)، ص175.

جميعا، وكان يلتهم الكتب ببساطة، وكان يضمر الاجلال للكتاب الروس، اهتم فرعون بالبيئة القبائلية، وتصوير عاداتها وتقاليدها، إضافة إلى تصوير بؤس الشعب الجزائري في العشرينات. [1]

2. مولود معمري: صاحب رواية الهضبة المنسية الصادرة عام 1952، الأفيون والعصا الصادرة عام 1955، وقد تميزت أعماله بمسايرتها للوقائع السياسية، اضافة إلى تصوير المجتمع القبائلي بكل خصائصه، كما تناول الثورة الجزائرية التي انخرط فيها. [2]
3. مالك حداد: كتب بالفرنسية ولكن كتاباته ظلت كوثيقة ثورية، تبين إيمانه بقضية شعبه، صدرت له مجموعة من الاعمال منها : سأهبك غزالة الصادرة عام 1959، رصيف الازهار لم يعد يجيب الصادرة عام 1961م، وقد دارت رواياته حول الثورة الجزائرية، كما أن شخصية الكاتب والثورة تشكلان نبعا غزيرا لرواياته. [3]
4. كاتب ياسين: صاحب نجمة الصادرة عام 1956، ونجمة هي الجزائر، الجميلة التي مزقتها مآسي وآلام حرب التحرير، واعتبرها النقاد هي الرواية الاجمل نص بالفرنسية، لكاتب من أصل غير أوروبي، وعبر ياسين بصدى عن فترة مؤلمة عن حياة الشعب الجزائري. [4]

فقد شكلت الكتابة بالفرنسية محورا هاما في الادب الجزائري المعاصر، فهي لغة المستعمر الذي استوطن الجزائر، وسعى إلى محو وجودها، ورغم الكم الهائل من الاعمال المكتوبة بالفرنسية، فإننا نقف أمام مشاعر أولئك الكتاب وآرائهم المختلفة حول الكتابة بلغة ليست لغتهم فمنهم من شعر بالنقص اتجاه لغة المستعمر كا . مالك حداد . الذي يقول : "لقد أراد الاستعمار ذلك، لقد أراد الاستعمار أن يكون عندي هذا النقص، لا أستطيع أن أعبر

---

[1] المرجع السابق، ص 16 .
[2] سعاد محمد خضر : الادب الجزائري المعاصر ، المكتبة المصرية ، بيروت ، ص 175 .
[3] أحمد دوغان : شخصيات في الادب الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص 71 .
[4] سعاد محمد خضر : الادب الجزائري المعاصر ، ص 191 .

بلغتي، فهو يحس بعجز وغربة، وبألم قاس، كلما أراد أن يعبر عن أفكار وآمال، ومشاعر جزائرية بلغة فرنسية. [1]

أما الروائي "محمد ديب"، فيؤكد أن الكتابة بالفرنسية سلاح للتغيير عن آلام الشعب، وليست انتماء للثقافة الفرنسية والادب الفرنسي، فيقول : "ان كل قوى الخلق والإبداع لكتابنا وفنانينا بوقوفها في خدمة إخوانهم المظلومين، تجعل من الثقافة سلاحا من أسلحة المعركة، وسباب عديدة فإنني ككاتب كان همي الاول هو أن أضم صوتي إلى صوت المجموع. [2]

أما ثلاثية "محمد ديب" ، (الدار الكبيرة) الصادرة عام 1952م، (الحريق) الصادرة 1954م، (النول) الصادرة 1957م، فشكلت صورة الجزائر من خلال شخوصها الذين أذلهم المستعمر،و سلبهم كرامتهم و إنسانيتهم و أراضيهم ليصبحوا أجراء في أراضيهم، إضافة إلى سياسة التفقير التي مارسها المستعمر على الشعب الجزائري.[3]

ومن هنا فقد كتب –محمد ديب– ثلاثيته محاولا إبراز موقفه من ظروف الجزائر أثناء الثورة الاستعمارية، راصدا الحالة السياسية و الاجتماعية آنذاك، و رغم اتخاذه من الفرنسية وسيلة للتعبير، إلا أن روح الثلاثية كانت عربية، و قد أشاد بالثلاثية كل الذين تناولوها بالدراسة مؤكدين على روحها العربية، تقول –يمنى العيد– إنها أجمل ما كتب ديب في الأدب الروائي الجزائري، بل أجمل من الروايات في الأدب الواقعي، أقول العربية لأن الثلاثية و إن توسلت الفرنسية لغة فهي في المنطق و في روحية التعبير رواية عربية لذا لا أجد أي حرج في تقويمها كواحدة من الروايات العربية لقد غاص –ديب– في الواقع الجزائري رغم اللغة الفرنسية التي لم يكتب إلا بها مؤكدا أنها ليست انتماء لفرنسا.[4]

وهكذا كانت الكتابة باللغة الفرنسية عاملا حاسما في بلورة الهوية الوطنية، صراعها المستمر مع الاستعمار، باقتراب المحاولات الروائية و القصصية الأولى لمحمد ديب، وكاتب

---

(1) المرجع السابق، ص 205
(2) نفسه، ص85 .
(3) محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة سامي الدروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1968، ص05 .
(4) يمنى العيد: فن الرواية العربية (بين خصوصية الخطاب وتميز الحكاية)، دار الآداب، بيروت، 1998،ط1، ص53 -54 .

ياسين، و مولود فرعون، من البعد العميق في الهوية الجزائرية، التي ظلت طي النسيان، فقلد تحولت المنظومة اللغوية إلى أداة حقيقية للصراع الثقافي بين المستعمر الذي تمظهر في أشكال الكتابة، التي حاولت تزييف القيم الوطنية، و من هنا تبدوا المغالطة فاضحة، تلك التي سارع إليها البعض من الطبقة المعربة لنفي كل ما ليس مكتوب باللغة العربية على أساس أنه أدب غير جزائري بعيد عن الهوية الوطنية، التي تعتمد على البعد اللغوي لتحقيق الانتماء للوطنية الجزائرية. [1]

[1] نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص228.

الفصل الثاني: البعد التاريخي في رواية كتاب الأمير

المبحث الأول: مفهوم البعد التاريخي.

المبحث الثاني: السيرة الذاتية للأمير عبد القادر

المبحث الثالث: حياة الأمير الروائية

المبحث الرابع:مقارنة بين شخصية الأمير الواقعية والشخصية الروائية

المبحث الخامس: البعد الجمالي في كتابة التاريخ

المبحث الأول: مفهوم البعد التاريخي .

إن التاريخ يتدرج تحت لواء العلوم الإنسانية، ويختص في دراسة الإنسان في ماضيه، ويتأثر هذا الماضي فيه، ولم تتسن هذه الدراسة إلا باكتشاف الكتابة التي جعلت الإنسان ينتصر على النسيان والزمن، وكذلك الموت، وأصبح بمقدوره أن يدون خبراته، وأن ينقلها من جيل إلى آخر، ومن مكان لآخر، ومن عنصر لآخر، فامتدت الجسور بين الأجيال والأزمنة.

فمفهوم التاريخ يشكل بعدا تاريخيا أساسا من أبعاد الوجود البشري، فالإنسان لا يوجد بوصفه إنسان فقط، ولا يوجد في علاقة تفاعلية مع غيره فقط، بل وجود تاريخي متعين في الزمان والمكان، وجود تاريخي يصنعه الإنسان، غير أن هذا الوجود أيضا يصنع الإنسان، فإذا كانت المعرفة التاريخية تسعى إلى تحديد معالم الماضي باعتباره مجموعة من الوقائع التي حصلت في زمان ومكان محددين، فإن استحضار هذا الماضي ليس عملية سهلة، لأن ذلك يقتضي توفر منهج خاص، يعيد بناء الظاهرة التاريخية، انطلاقا من الوثائق التاريخية .

ويشير مفهوم التاريخ في اللغة: إلى الإعلام بالوقت فيقال مثلا: أرخ ، يؤرخ الكتاب، أي بين وقت كتابته، ويحيل في الاصطلاح إلى التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال والوقائع المرتبطة بالإنسان.[1]

في حين لا تتحدد دلالة التاريخ حسب " ايريني هنري مارو "، في سرد حوادث الماضي، ووصفه بهدف إعادة كتابة الماضي الإنساني، إنه حسب هذا الاخير معرفة علمية، ينشئها المؤرخ عن ذلك الماضي مستندا إلى منهج علمي صارم دقيق .[2]

ومن بين الأعمال التي نجد فيها توفر التاريخ بكثرة في الروايات الجزائرية، التي تتعلق بالثورة، فالرواية تتخذ أشكالا وصورا مختلفة في تعاملها مع التاريخ، فتختلف من كاتب إلى

---

[1] شمس الدين السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، مطبعة الترقي ، دمشق ، 1949 ، ص 6 – 7

[2] عبد الرحمان بن خلدون : المقدمة ، تح عبد السلام الشدادي ، بيت الفنون والعلوم والآداب ، الدار البيضاء ، 2005 ، ص 09 .

آخر، منها من حاول بعث حقبة تاريخية في أمانة ودقة، ولم يتجاوز هذا الإطار المحدد، واهتم في المقام الاول بالطابع المحلي، ومنها ما بعث التاريخ الماضي لكي يجري عملية اسقاط على الحاضر بغية نقد الحاضر وتغييره، ومنها ما انطلق من الواقع التاريخي وحوله إلى خيال صرف .[1]

ومن بين هذه الروايات التي اعتمدت على توظيف التاريخ، رواية " واسيني الاعرج" حيث اعتمدت شخصيات رواياته – وخاصة الابطال – على أحداث التاريخ ووقائعه، وتشكل بعض الاحداث التاريخية الوطنية منها والعبية .

فتأتي ثورة التحرير الوطني المسلحة في مقدمة الاحداث، التي تلقي بظلالها على نصوص الكاتب، وهذا أمر طبيعي، إذ أن الفن الروائي في الجزائر، اتجه في بداية الامر إلى الثورة يستقي منها ومن بطولاتها وموضوعاتها الأساسية .[2]

ويمكن لنا أن نرصد تواتر هذا الحدث الثوري، وتشاكل طريقة الاستفادة في روايات عديدة للكاتب منها: ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، نوار اللوز، ضمير الغائب، ذاكرة الماء، سيدة المقام .

وتحسن الإشارة إلى أن الابداع الروائي المتناول للثورة المسلحة، تتجاذب به رؤيتان اثنتان: نزعت أولاهما إلى الاحتفال بالثورة وتمجيد مسيرة كفاحها، وتقديمها في صورة مشرفة، تبعث النخوة والاعتزاز في جيل ما بعد الاستقلال، بينما عمدت الثانية إلى نقد مسار الثورة النضالي، ومحاولة إدانته بالكشف عما ارتكبته الثورة من أخطاء انحرفت بها إلى مسارها الصحيح، من خلال اعادة النظر فيما دونته كتب التاريخ الرسمي .[3]

ومن بين هذه الروايات نذكر رواية " كتاب الأمير " لواسيني الأعرج، وما يميز هذه الرواية عن رواياته السابقة، هو الحضور القوي للمادة التاريخية، بل هي عمودها الفقري،

---

(1) بن جمعة بوشوشة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص 68 .

(2) محمد مصايف : الرواية العربية الجزائرية الحديثة ، (بين الواقعية والالتزام) ، الدار العربية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 68

(3) بن جمعة بوشوشة : الثورة الجزائرية بين الواقعي والمتخيل في الرواية الجزائرية المعاصرة ، المساء ، الجزائر ، 1988 ، ص 11.

ممثلة في النصوص والرسائل المرتبطة بشخصيتين كبيرتين في التاريخ الجزائري الحديث، والوثائق التاريخية التي تمثل من جهة بقايا من انجازات الماضي، ولكنها من جهة ثانية تمثل شهادات عن واقع .[1]

فنجده في هذه الرواية يوظف فترة ايجابية من فترات تاريخ الجزائر الحديث، بالرغم من ظروف الاحتلال التي أحاطت بها، ولعل اختيار حقبة تاريخية بعينها ايجابية كانت أم سلبية، تخضع لشروط ملاءمتها للعصر الذي استرجعت فيه، فلا حقبة زمنية جديرة بالانتساب إلى التاريخ إلا قياسا بحقبة أخرى اخترقها التاريخ.[2]

فيرد التفكير في التاريخ وفي كتابته موقفا مخصوصا بالأمير الذي صنع لنفسه تاريخا، ويكون الحديث في هذه المسألة، خلال زيارة قام بها ديبوش، وخادمه جون إلى الأمير الذي كان يملي على مصطفى بن التهامي سيرته الخاصة، فلقد أكد الأمير أهمية كتابة التاريخ الشخصي، بالرغم من الشهرة التي تجعل من لا يعرف الأمير جاهلا في زماننا، وبرز هذا العمل بالحرص على تدقيق هذا التاريخ، وتخليصه من النقصان أو الزيادة، وأبرز موقف أظهره الأمير في كلامه المطول الخاص بالمسألة أن " التاريخ يكتبه المنتصرون "، وأن مشكلة التاريخ هي أن وراءه بشر وأهواء .

ويبدوا هذا النظر في التاريخ من علامات التأثر القوي بما ذكره ابن خلدون في المقدمة، وكان الأمير كثيرا ما يخلوا إليها، إن ما ذكره ابن خلدون خاصا بأغلاط المؤرخين ومنها اتباع الهوى، ومناصرة السلطان والانتصار للمذهب، وتهويل ما جرى إبهارا للعقول والأفئدة، هو الذي قدر موقف الأمير في المسألة وبرر حرصه على أن يمليها بنفسه، حتى تكون سيرة حياته وجهاده موضوعية، " ليس أفضل من امرئ يقول تاريخه، وينير الطريق

(1) عبد الله العروي : مفهوم التاريخ (الألفاظ والمذاهب) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1992 ، ص81.
(2) فيصل دراج : الرواية وتأويل التاريخ ، نظرية الرواية والرواية العربية ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1 ، 2004 ، ص261.

للناس الذين قاسموه نفس الآلام والأشواق، الآخرون يشتهون تأويل التاريخ، كما تقول لهم رؤوسهم، لا يسألون أحدا عندما يريدون الإساءة إلى سيدي الفاضل.[1]

يكشف الحوار الذي دار بين " الأمير " و" السي مصطفى بن التهامي " في آخر أيام السجن بقصر امبواز، ما تميز به الأمير من وعي تاريخي، ومن إدراك لتبدل الأوضاع في العالم .

فحين أظهر ابن التهامي الحزن والندم، بسبب ما آلت إليه الأحوال، ودافع عن حق المجاهدين في رفض التعامل مع من أحرقوا الناس أحياء في جبال الظاهرة وغيرها، وقطعوا رأس سيدس مبارك وغيره .

حيث واجه الأمير بكلام مطول، صحح به أخطاء شائعة عن فرنسا وأوروبا، وعن نظرة المسلمين إلى أنفسهم، وعن نظرتهم للآخرين.[2]

فقد عقد الأمير مقارنة بين من كانوا يحفرون الارض، ويستخرجون التربة ويحولونها إلى قطارات بخارية، وسفن حربية، وسيارات وقوانين لتسيير البلاد، حيث يقول لهم بأنهم هم كانوا غارقين في اليقينيات، التي ظهر لنا فيما بعد ضعفها، ويذكر بأنهم كانوا يعيشون عصرا انسحب وانتهى، ويسأله هل يستطيعون اليوم القدرة لفتح أعينهم على هذه الحقائق، وتعليم أبنائهم من أخطائهم القاتلة.[3]

وحين غادر الأمير مدينة أمبواز اثر الفترة التي قضاها فيها سجينا، تولى السارد في الرواية نقل مشاعره، وما توصل إليه من حقائق تاريخية وحضارية، وما اكتشفه من تقدم تكنولوجي غير ميزان القوى بين الشعوب: " حيث شعر الأمير بأن ما كان يحدث أمام عينيه كان مذهلا وكبيرا، وعرف لماذا خسر حربه الأخيرة، وأن العالم كان يتغير بعمق وبسرعة "، " حيث لم يعد السيف والشجاعة يكفيان ، فالمدافع الضخمة، والآلات السريعة،

---

[1] واسيني الأعرج : كتاب الامير (مسالك أبواب الحديد) ، منشورات الفضاء الحي ، الجزائر ، ط1 ، 2004 ، ص 175.

[2] الرواية، ص 520 .

[3] الرواية، ص 521.

والسفن والعوامات البخارية التي تجوب الوديان والبحار، وتنقل آلاف الناس والجيوش المجهزة والمنظمة، غيرت كل الموازين، وأصبح الناس يشبهون عصورهم.[1]

حيث تنهل رواية " الامير " من تاريخ المقاومة الوطنية خلال الفترة الممتدة بين 1830-1847، وقد ركزت الرواية على مسيرة الأمير عبد القادر النضالية، إلا أنها سلطت أضواءها أيضا على كفاح الشعب الجزائري، وعلى مقاومته للاستعمار الفرنسي، وأبانت عن كثير من الوقائع والأحداث التاريخية، متوسلة في استثمارها للتاريخ طرقا وأساليب متنوعة .

ومن الوثائق التاريخية الرسمية التي تستند إليها رواية " كتاب الامير "، صك البيعة المحرر في 13 رجب 1248 هـ، الموافق ل 28 نوفمبر 1832 م، وقد ميزه الكاتب عن نص الرواية بخط سميك، وأورده في الوقفة الثانية (منزلة الابتلاء الكبير)، ويمكن أن نقتطف من هذه الوثيقة المقبوس الآتي: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا بنى بعده :

إلى الشيوخ والعلماء وإليكم يا رجال القبائل، وخاصة فرسان السيف والأعيان والتجار وأهل العلم، السلام عليكم : وفقكم الله وسدد خطاكم وجمع شملكم وحقق لكم النجاح وسير لكم الخير في جميع أفعالكم وبعد، إن أهل مناطق معسكر وإغريس الشرقي والغربي، ومن جاورهم واتحد بهم، وبنى شقران وعباس والبرجية واليعقوبية، وبنى عامر وبني مهاجر وغيرهم ممن لم ترد أسماؤهم، قد اجمعوا على مبايعتي أميرا عليهم وعاهدوني على السمع والطاعة في اليسر والعسر، وعلى بذل أنفسهم وأولادهم وأموالهم في إعلاء كلمة الله، وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم، كما قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه مؤملا أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين وإزالة النزاع والخصام من بينهم.[2]

---

[1] الرواية ، ص502.
[2] الرواية، ص 78 .

ويشكل نص الوثيقة سندا تاريخيا هاما، استفادت منه الرواية في دعم نزوعها التاريخي، وترسيخه لدى المتلقي، وإذ أكانت البيعة من الوجهة الدينية هي: " الطريقة الشرعية الوحيدة لاختيار وتنصيب الحاكم من قبل الأمة، التي تعاقدت معه على الحكم بما أنزل الله، ومن ثم كانت هذه الوثيقة منطلق الكثير من الأحداث التاريخية، التي أعادت الرواية صياغتها بطريقة فنية، يتداخل فيها التاريخ والتخييل، وهذا التماس جعل الوثيقة تنطوي على دلالات جديدة ترتبط بالسياق الجمالي للرواية، كارتباطها بالرؤية، رؤية الشيخ محي الدين والد الامير، ورؤية سيدي الاعرج الذي جاء فيها: " سيدي محي الدين كبر ولم يعد قادرا، الرؤيا التي رآها في بغداد، رأيت شبيها لها هنا، فلا تجبروه على تغيير ما رأى، والهاتف الذي جاءني ألح علي بأن أخبر الناس بخصال هذا الشاب الذي سيقود هذه الأرض نحو الخير، كلها علامات تقودنا نحو التكاتف حول هذا الرجل الذي تقول الرؤيا إنه سيغير الموازين، وسترتعش الأرض تحت حوافر خيله، فلا تتركوا العلامة تنطفئ، لا تتركوا العلامة تنطفئ .....هذه هي وصيتي الوحيدة .[1]

وإذا كانت لكل روائي عربي اختياراته الخاصة للمواد التاريخية، بسبب الانبهار بحقبة من أحقاب التاريخ العربي الإسلامي، أو للدفاع عن حقبة ولت أو الرغبة في لم شتات ما تفرق من سيرة حياة، فإن الروائي الجزائري " واسيني العرج " تخير العودة الى تاريخ النضال الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، وبأر هذا التاريخ بتخصيص " كتاب الأمير " لسيرة حياة القائد الوطني الأمير عبد القادر الجزائري .

فقد قسم " واسيني الأعرج " روايته هذه إلى ثلاث أقسام على النحو التالي:

1 -باب المحن الأولى .

2 -باب أقواس الحكمة .

3 -باب المسالك والمهالك .

[1] المرجع السابق، ص 77 .

فهذه التسميات الوسمة للأقسام الكبرى للرواية، وبعدها القصصي وعمقها المجازي، فهي تسميات تاريخية، فتسمية الباب الأول (المحن الأولى) ترتبط بالتصوير القصصي لتجربة المعاناة، التي واجهها الأميرعبد القادر، وتسمية الباب الثاني (باب أقواس الحكمة) تعبير فيه مجاز الاقتران بين المحسوس وغير المحسوس، وتخيل الاستعارة بإضافة الاقواس إلى الحكمة .

وأما تسمية الباب الثالث فلا تبعد عن منزع الإيحاء بما عاناه الأمير بعد أن أجبر على توقيف الحرب ضد المستعمر، وعلى إلقاء السلاح، ونسب الباب إلى المسالك والمهالك نسبة على المجاز لا على الحقيقة .

فكتاب الامير" مبني بمواد التاريخ، فقد تجاوزت صفحاته خمسمائة وثلاثة وخمسون صفحة، وهذا الامتداد النصي له وثيق الاتصال بسيولة التاريخ، وامتداد حركته عبر الزمان، حيث أن هذه المدة الزمنية دامت حوالي خمسة عشر سنة،لإنقاذ شعب من غطرسة الغزاة.[1]

حيث تؤرخ هذه الرواية لشخصية رجل الدين المسيحي " مونسنيور ديبوش "، الذي افتتحت الرواية بتنفيذ وصيته، واختتمت بذكر تاريخ دخوله أرض الجزائر، ففي سنة 1838م عين ديبوش أول قس للجزائر. [2] وفي سنة 1848 نفذ " جون موبي " المرافق الدائم لهذا القس، وصية من عده أباه وأخاه، فنشر بقايا رفاته على مياه أرض الجزائر، وليس افتتاح الرواية واختتامها بتاريخين أساسيين في حياة هذا الرجل، سوى إقرار بعظيم ما قدمه لهذه الأرض، التي تفانى في خدمة أهلها، والدفاع عن حرية أميرها عبد القادر.[3]

ويعج كتاب الأمير بذكر التواريخ مضبوطة، ومقيدة بالأيام والسنوات، فمنها التواريخ الخاصة بالعلم الوطني، الذي تسمت باسمه هذه الرواية، ولقد أرخت بعض الرسائل التي كتبها الأمير عبد القادر بن محي الدين نذكر منها:

---

[1] الرواية ، ص406 .
[2] الرواية، ص 546.
[3] الرواية، ص 22 .

ورسالته إلى القبائل الأخرى يلمهم فيها بإجماعهم على مبايعته أميرا، وضبطت تواريخ عقده الأمير من معاهدات،ومن ذلك معاهدته مع دوميشال في حدود 1833م،[1] ومعاهدة أخرى أبرمها مع الفرنسيين في 25 فبراير1834م. [2]

وأورد السارد عددا من التواريخ الضابطة للمعارك التي دارت بينهم، وذالك من قبل تحرك قوات دوميشال استعدادا لمبايعة المقاومين في وهران 7 ماي1883م، وتوجه "بوجو" نحو آخر ميناء (ميناء شقون)في 04 جويلية 1836م،[3] وحصار مدينة ماضي وحرقها في 12 جانفي1839م. [4]

وهناك تواريخ خاصة أيضا تخص حياة الأمير بعد أن ألقى السلاح، وظل حبيسا خمس سنوات، رغم تعهده بعدم محاربة جيش فرنسا قبل أن تأتيه زيارة "لويس نابليون بونابرت" إلى قصر أمبواز بقرار حريته في 16 أكتوبر 1852م، [5]وهذا القرار أتاح له التجول في باريس يوم 28 أكتوبر 1852م.

فلاشك أن هذه التواريخ المضبوطة بالأيام والسنوات تختصر المفاصل الكبرى في مسيرة هذا المناضل الوطني، إذ توثق الروائي لأبرز الأطوار المتعلقة بالتاريخ النضالي لهذه الشخصية المراجعة في الرواية .

ويتكرر الأمر ذاته في الباب الثالث وفي الوقفة الحادية عشر "فتنة الأحوال الزائلة" فتبدأ الصفحة بهذه البداية التوثيقية 16 أكتوبر 1852م،وكذلك دخول السفن الفرنسية ميناء الجزائر 01 أوت 1835 م، وبداية الحرب الفعلية بين الجزائريين والفرنسيين. [6]إن هذا التاريخ في الزمان مقارنة بغيره من التواريخ، هو القادح الأساسي لبناء الرواية على بعض معطيات التاريخ، والذي يفسر مجريات الحركة القصصية الدائرة طيلة أبوابها، والوقفات التي عدت في هذه الأبواب فصولا يتقسم بها مداها النصي المتسع.

---

[1] الرواية، ص ، ص 79 ، 88 .
[2] الرواية، ص 106 .
[3] الرواية، ص ، ص 93 ، 178 .
[4] الرواية، ص 246 .
[5] الرواية، ص ، ص 495 ، 503
[6] الرواية ، ص 149.

إن سيطرة الوقائع التاريخية على الحاضر السردي في الرواية معناه أن الظروف ما زالت مستمرة في الحاضر بالشكل نفسه، ذلك ما تعنيه العبارات، التي ظل الراوي يكررها على لسان الأمير، في كل مقطع من مقاطع الرواية، لكن القبائل العربية مازالت تتخبط في الظروف نفسها،وهو ما كان الأمير يحاول تحقيقه في دولته لكنه لم يفلح، ومع ذالك يأمل أن تحققه الأجيال اللاحقة. [1]

ومن هنا يمكن القول أن رواية الأمير، قد عبّرت عن رؤى جديدة من خلال الوقائع التاريخية من جهة، كما تبين لنا ثنايا الحدث السردي من جهة أخرى، وهذا ما يجعل كل قارئ، أو مؤول لفضاءات تلك الرؤى، يرى بأنها لم تنحصر في وعي الأمير، أو في وعي الغزاة وحدهم، بل توزعت بينهم جميعا .

ومما سبق نستخلص أن هذه الرواية، تتصل بتاريخ الجهاد الجزائري ضد الجيش الاستعماري الفرنسي في بداية القرن التاسع عشر، وتتخير طورا من أطوار هذا الجهاد، يكون الأمير عبد القادر عنوانه البارز، وعلمه الوضاء، لكن الرواية وهي تستند حكايتها إلى هذا التاريخ المعلوم، الذي أفاضت المصنفات، والدراسات في الإبانة عن أسراره وتفاصيله، تنفصل عن التاريخ وتبني فضاءها التخيلي، بقلب مجريات الأحداث، وبالصرف في التواريخ تقديما وتأخيرا، اقتطاعا وتأليفا .

فتلتقي هذه الرواية بالتاريخ العسكري والجهادي للأمير عبد القادر،فتتسرب أحداثها وقائع سيرته في طورين أساسيين هما : طور الجهاد لبناء دولة على أرض الجزائر، وطور التخلي عن الجهاد، ثم تسليم نفسه للقوات الفرنسية في ديسمبر 1847 م، وتعهده بعدم مقاتلة الجيش الفرنسي في الجزائر، فلقد عطت الرواية خمسة عشر عاما في حياة هذا القائد المجاهد، أمضى عشرة أعوام في الإعداد للقتال، وخوض المعارك، وقضى الخمسة الأخرى سجينا في قصر أمبواز، حتى أعاد إليه لويس نابليون حريته في 16 أكتوبر 1852م .

[1] الرواية، ص 521 .

ورسالته إلى القبائل الأخرى يلمهم فيها بإجماعهم على مبايعته أميرا، وضبطت تواريخ عقده الأمير من معاهدات،ومن ذلك معاهدته مع دوميشال في حدود 1833م،[1] ومعاهدة أخرى أبرمها مع الفرنسيين في 25 فبراير1834م. [2]

وأورد السارد عددا من التواريخ الضابطة للمعارك التي دارت بينهم، وذالك من قبل تحرك قوات دوميشال استعدادا لمبايعة المقاومين في وهران 7 ماي1883م، وتوجه "بوجو" نحو آخر ميناء (ميناء شقون)في 04 جويلية 1836م،[3] وحصار مدينة ماضي وحرقها في 12 جانفي1839م. [4]

وهناك تواريخ خاصة أيضا تخص حياة الأمير بعد أن ألقى السلاح، وظل حبيسا خمس سنوات، رغم تعهده بعدم محاربة جيش فرنسا قبل أن تأتيه زيارة "لويس نابليون بونابرت" إلى قصر أمبواز بقرار حريته في 16 أكتوبر 1852م، [5]وهذا القرار أتاح له التجول في باريس يوم 28 أكتوبر 1852م.

فلاشك أن هذه التواريخ المضبوطة بالأيام والسنوات تختصر المفاصل الكبرى في مسيرة هذا المناضل الوطني، إذ توثق الروائي لأبرز الأطوار المتعلقة بالتاريخ النضالي لهذه الشخصية المراجعة في الرواية .

ويتكرر الأمر ذاته في الباب الثالث وفي الوقفة الحادية عشر "فتنة الأحوال الزائلة" فتبدأ الصفحة بهذه البداية التوثيقية 16 أكتوبر 1852م،وكذلك دخول السفن الفرنسية ميناء الجزائر 01 أوت 1835 م، وبداية الحرب الفعلية بين الجزائريين والفرنسيين. [6]إن هذا التاريخ في الزمان مقارنة بغيره من التواريخ، هو القادح الأساسي لبناء الرواية على بعض معطيات التاريخ، والذي يفسر مجريات الحركة القصصية الدائرة طيلة أبوابها، والوقفات التي عدت في هذه الأبواب فصولا يتقسم بها مداها النصي المتسع.

---

[1] الرواية، ص ، ص 79 ، 88 .
[2] الرواية، ص 106 .
[3] الرواية، ص ، ص 93 ، 178 .
[4] الرواية، ص 246 .
[5] الرواية، ص ، ص 495 ، 503
[6] الرواية ، ص 149.

إن سيطرة الوقائع التاريخية على الحاضر السردي في الرواية معناه أن الظروف ما زالت مستمرة في الحاضر بالشكل نفسه، ذلك ما تعنيه العبارات، التي ظل الراوي يكررها على لسان الأمير، في كل مقطع من مقاطع الرواية، لكن القبائل العربية مازالت تتخبط في الظروف نفسها،وهو ما كان الأمير يحاول تحقيقه في دولته لكنه لم يفلح، ومع ذالك يأمل أن تحققه الأجيال اللاحقة. [1]

ومن هنا يمكن القول أن رواية الأمير، قد عبّرت عن رؤى جديدة من خلال الوقائع التاريخية من جهة، كما تبين لنا ثنايا الحدث السردي من جهة أخرى، وهذا ما يجعل كل قارئ، أو مؤول لفضاءات تلك الرؤى، يرى بأنها لم تنحصر في وعي الأمير، أو في وعي الغزاة وحدهم، بل توزعت بينهم جميعا .

ومما سبق نستخلص أن هذه الرواية، تتصل بتاريخ الجهاد الجزائري ضد الجيش الاستعماري الفرنسي في بداية القرن التاسع عشر، وتتخير طورا من أطوار هذا الجهاد، يكون الأمير عبد القادر عنوانه البارز، وعلمه الوضاء، لكن الرواية وهي تستند حكايتها إلى هذا التاريخ المعلوم، الذي أفاضت المصنفات، والدراسات في الإبانة عن أسراره وتفاصيله، تنفصل عن التاريخ وتبني فضاءها التخيلي، بقلب مجريات الأحداث، وبالصرف في التواريخ تقديما وتأخيرا، اقتطاعا وتأليفا .

فتلتقي هذه الرواية بالتاريخ العسكري والجهادي للأمير عبد القادر،فتتسرب أحداثها وقائع سيرته في طورين أساسيين هما : طور الجهاد لبناء دولة على أرض الجزائر، وطور التخلي عن الجهاد، ثم تسليم نفسه للقوات الفرنسية في ديسمبر 1847 م، وتعهده بعدم مقاتلة الجيش الفرنسي في الجزائر، فلقد عطت الرواية خمسة عشر عاما في حياة هذا القائد المجاهد، أمضى عشرة أعوام في الإعداد للقتال، وخوض المعارك، وقضى الخمسة الأخرى سجينا في قصر أمبواز، حتى أعاد إليه لويس نابليون حريته في 16 أكتوبر 1852م .

[1] الرواية، ص 521 .

المبحث الثاني: السيرة الذاتية للأمير عبد القادر:

1 – ميلاده ونشأته:

هو الأمير بد القادر محي الدين بن مصطفى بن محمد بن أحمد بن المختار، ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن سيدنا علي بن أبي طالب،وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ولد يوم 23 رجب 1222هـ الموافق ل25سبتمبر 1808م، وذاك في قرية القيطنة الموجودة على يمين واد الحمام بين قرية بوحنيفة، وقرية حسين على بعد حوالي 20 كلم من مدينة معسكر من مقاطعة وهران، [1] عاش طفولته وسط عالم من العمل المضني والشجاعة الفائقة و التقي الكامل، فكان موضع انتباه والده وعنايته الدائمة فالتفت إليه التفاتة خاصة وأحاطه بمراقبة شديدة، لأنه كان يشعر بأن حياة ابنه مهددة بالمخاطر والمصاعب ومحفوفة بالمشقات.

ففي الرابعة من عمره، أي سنة 1812م، التحق عبد القادر بمدرسة والده في القيطنة حيث تعلم مبادىء الكتابة والقراءة، وعندما بلغ سن العاشرة سنة 1818م تمكن من القرآن و الحديث و أصول الشريعة، على يد أحمد بن طاهر، قاضي ارزيو، الذي علمه أيضا الرياضيات الجغرافية والتاريخ .

وعندما أتم الثانية عشر من عمره سنة 1820م، أرسله والده إلى مدرسة وهران التي كانت بإشراف أحمد بن الخوجا، ليتعلم مبادئ اللغة، ويدرس آراء أبو الفداء والمسعودي وابن خلدون، ويطلع على العلوم المستحدثة ويتعمق الدين، حيث مكث في عاصمة المقاطعة سنتين نال في نهايتهما شهادة حافظ، حولته ترتيل الآيات القرآ نية في الجوامع والاحتفالات، وأثناء إقامته فيها لاحظ الفارق الحياتي بين أبنائها وأهالي سهل اغريس وشاهد

[1] يحي بوعزيز : الأمير عبد القادر الكفاح الجزائري (سيرته الذاتية وجهاده) ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 ،ص39

معاملة الأتراك للجزائريين وقد زاد هذا الفارق سوء تصرفات جنود الباي حسين، سرقتهم المواشي دون راعي واستغلالهم الأراضي بقوة السلاح إذا ما ترضوا لأية مقاومة.[1]

وفي أوائل سنة 1823م، عاد إلى زاوية القرية بناء لطلب والده، وإلحاح والدته، فتابع علمه فيها تحت إشراف مديرها، أي والده، منصرفا إلى التأمل الديني الهادئ، ومبتعدا عن مباهج الحياة الدنيوية، فدرس برامجها على ثلاث مراحل، مبتدئا بقراءة القرآن، ثم حفظه كاملا، إلى أن انتهى به المطاف إلى مطالعة كتب أشهر المؤلفين في الجغرافية، والفلسفة، واللغة والشعر، وحتى الطب.[2]

وفي السابعة عشر اشتهر الشاب عبد القادر بين زملائه بقوته العجيبة، ونشاطه الواضح، فهيئته الكاملة المتناسقة، كان طويلا، وتركيب أعظامه، وصدره العريض، كلها شكلت إطارا جسمانيا لا يعرف الكلال، وقادرا على احتمال أشق الأتعاب، وكان لا يدانيه أحدا فروسيته، ولم يكن عبد القادر فارسا مهيبا فحسب، بل تفوقه المدهش في كل متطلبات الفروسية، التي توجب العين القوية، واليد الثابتة، والرجولة الحقة، كان حديث كل أولئك الذين عرفوه، فقد كان يلمس كتف فرسه بصدره، ويضع إحدى يديه على ظهر الفرس، ثم يقفز إلى الجانب الآخر .

وبعد مدة وجيزة على وجوده في القيطنة، تزوج عبد القادر سنة 1823 م، ابنة عمه لالا خيرة، التي كانت مثله تتمتع بجمال خارق، وأخلاق عالية، تزوجها على الطريقة الإسلامية، وطبقا لنصوص القرآن، فقد قال النبي : "تزوج شابا فإن الزواج يغض نظرة الرجل وينظم سلوك الفتاة "، وفي هذه الفترة من الحياة التي تتحرك فيها الشهوات لأول مرة في الصدر، كان عبد القادر بطريقة خاصة هدفا لاهتمام والده، فأينما حل كان يتبعه خادم مطيع ومخلص، ولم يسمح له أن يبقى وحده أبدا، وهكذا صرفت المغريات، التي كانت يمكن

---

[1] الدكتور أديب حرب : التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر 1808 ،1847 ،دار الرائد للكتاب ،الجزائر، ط1 1983 ، ص70

[2] نفسه، ص 71 .

أن تلطخ طهارة أخلاقه، إلى أن تزوج ابنة عمه، [1] لكن مهمات صعبة كانت بانتظاره حالت دون تمتعه بحياة عائلية هادئة.

وأثناء هذه الفترة التي كان عبد القادر فيها يحصل علميا كمثقف، ويتدرب علميا كمقاتل هجم التيجاني، شيخ قبيلة عين ماضي، على مدينة معسكر، فدمر جزءا منها، وخرب جزءا من مزروعاتها.[2]

2- **ثقافته :**

لقد جاء محي الدين إلى الطريق من أوسع الأبواب، وأولاها بالبدء، فاعتنى بعلوم القرآن، وأقام زاويته على التطبيق العلمي للمنهج الصوفي، وسنن الزوايا في الأعداد، والأداء الجامعي، وإيواء الطلاب، والقيام بنفقاتهم، ومع أن طلبة القرآن والعلم بقريته لا يحصون بكثرة، فإنه كان بمسجده هذا نحو سبعة مجالس للتدريس، وبعض الطعام للأضياف، وكان يتعاون أهل الخير والمحسنون على ذلك معه .

وقبل أن يتوفى سنة 1249هـ كان قد أعطى الجزائر أميرها في ساعة المحنة كمثال فعال، ستتاح له أكثر من أبيه أن يستلهم مناهج الزاوية في التربية والتعليم، وفيما هو الهدف المنشود لكل ذالك وهو السلوك .

وقد أخرج عبد القادر من "القيطنة" سنة 1236هـ مع أبيه وعشيرته إلى " وهران " بأمر من حاكمها " حسين باي " خوفا من نفوذ صاحب الزاوية، ويبدوا أنه لم يشأ معارضة الأمر حذر الفتنة، وأنه حزن كثيرا للظعن بعد الإقامة في القيطنة، فقد واساه المريدون لاسيما شعراؤهم، ومنهم السيد السنوسي أحد حفدة السنوسي المشهور .

وقبل أن تحدد إقامة الفتى مع أسرته في "وهران"، كان قد تعلم في قريته ما يبلغ نظراؤه في بيئته أن يتعلموه من القرآن، والحديث ومصطلحه، وبالتالي التراجم، والسير، والتاريخ لارتباط هذه بعلم الرجال، ورواية الحديث، وخصوصا بالمغرب كله .

---

[1] شارل هنري تشرشل : حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1974 ، ص42

[2] أديب حرب : التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر ، ص 72 .

وفي أعوام "وهران"الثلاثة، وقبل أن يسمح لهم بالرحيل لمشرق، تشبع من تلك العلوم نفسها، ومن المنطق والفقه، والكلام علوم العربية، وقد ملأت أسماء شيوخه نحو عشر صفحات من القطع الكبير، ولكن ليس أي منهم أولى بالذكر من غيره، وقد ضربت صفحا عن إعادة سردهم هنا، على أن أحقهم بالذكر هو أبوه لطول الصحبة، وتأثير السلوك وروايته عنه دون سواه. [1]

ومهماصحب عبد القادر من الشيوخ والكتب، فسوف تصبح الكتب الكثيرة والنادرة التي ظفر بالإضافة منها أحد العوامل المساعدة على فهم آباء الكتب المختارة، وعلى التجديد في تقديمها بأسلوب بين دائما، وبهيج ممتع حينا.

والحق أن ثقافة السبعة عشر عاما، قبل الرحيل للمشرق لطلب الحج والعلم والأمان، وقبل تصفح المشاهد والخبرات، والتجارب، ومجالس العلم التي ستعرض أمثلة، منها الآن لما يظن أنه أثر فيه تأثيرا ملحوظا بعد، الحق أن هذه الثقافة لم تكن لتمييزه عن أقرانه في كتب التراجم العديدة لسابقيه ومعاصريه، ولا تنبه عن أعدائه بالضرورة لما نهض به بعد، فهو – مثلا – عندما بدأ يؤلف آخر كتبه كان – حسب قوله – قد تلقى نصف القرآن إلهاما، ويرجوا أن يستظهره كله قبل موته وقد تحقق رجاؤه على نحو ما يحدث لكثير من الملهمين. وسنرى عبد القادر يتعلم كثير في تلك الرحلة التي حجوا فيها مرتين، وطلبوا والإجازة وعهد الطريق، وطافوا بمدن المغرب العربي مثل : قسنطينة، شرقي الجزائر،تونس، القيروان، فالإسكندرية، وطنطا، والقاهرة ومكة، والمدينة والقدس، ودمشق وبغداد، وسوف يبقى أثر تلك الرحلة ومشاهدها بينا في فكره وسلوكه.

و يبدوا أن " علم الرحلات "هذا كان أحد أهداف أبيه المقصودة،لأنه اصطحبه بعد أن حصل على السياسة الأدبية بالوطن، وحاز الرياسة العملية، في كل سكن و قطن، فلم يبقى

[1] محمد السيد محمد علي الوزير ، الأمير عبد القادر الجزائري (ثقافته وأثرها في أدبه) ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ص19 .

إذن من تقاليد التعليم الشائعة في بيئته وعصره غير أن يرحل به إلى الضواحي الحقيقية و المجازية ليتمرن من كل بلد يمر به بمناقب أهله. [1]

ودرس عبد القادر التصوف والتاريخ وعلوم الدين، على مدى أكثر من عشرين عاما، وفي كل يوم من أيام إقامته في دمشق، وذلك إما في بيته صباحا باكرا جدا، لحلقة صغيرة من المبتدئين والمقربين الذين كان يشرح لهم " الفتوحات الإسلامية "، التي حمل على نسخها عن مخطوطة منقولة عن الأصل في قونية، وإما بعد الظهر في إحدى تكيات دمشق أو زواياها، حيث يشرح القرآن والحديث للتلاميذ المتقدمين في العلم، وأخيرا كان يعطي دروسا يومية بين صلاتي العصر والمغرب، وأحيانا بين المغرب والعشاء لمن يريد سماعه، ويدفعنا هذا إلى القول بأن ما ينقصنا لفهم شخصية الأمير يزيد عن آلاف الساعات من الدروس، التي كان يسخوا بها في الفترة الأكثر خصبا من حياته، أي بين عام 1855م وعام 1883م، رغم أننا نجد بعض الدروس في مؤلفه : (كتاب المواقف)، وهو كتاب مواقف وأحوال، وحالات، وموقوفات. [2]

3- ميزات شخصية الأمير عبد القادر الجزائري:

من الضروري أن نتحدث عن مميزات شخصيته المرتبطة بالدين وبالفكرة الدينية، فنستخلص من الروايات الكثيرة التي تحدثت عن الأمير وصفا ومضمونا، مزايا اتصف بها دون غيره، نبدأها بالخاص إلى العام:

فحتما كان لكل شكل الأمير عبد القادر تأثيره الخاص على شخصيته، حيث أن ملامحه كانت تدل على « قوة حريته ممزوجة بقوة روحية، جعلت وجهه جميلا خلابا»،[3]حيث كانت بشرته بيضاء مشوبة بشيء من الشحوب، بينما كانت جبينه عرضا مستطيلا، يحتلها حاجبان أسودان دقيقان، ولحية سوداء ناعمة،تحوط وجها مستديرا نيرا، ويد

(1) المرجع السابق ، ص 33.
(2) برونوإيتين: الأمير عبد القادر الجزائري، تر المهندس ميشيل خوري، دار عطية للنشر، لبنان، ط1، 1997، ص 17
(3) عمر بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر(1832-1845)، منشورات دار عكاظ، الرباط، 1988، ص 85 .

نحيلة صغيرة ناصعة البياض تتخللها عروق زرقاء، وقامة متوسطة وعضلات تدل على قوة الجسم.

أما عن اللباس والذي يعد مكملا لمظاهر الشخصية، فكان عند الأمير بسيطا، يتمثل في عباءة بيضاء ذات برنس يكملها الأمير بامتطاء جواده الأسود، فيكمل تناغم الألوان، ويكتمل المشهد المهيب الذي يدل على أن المشاعر تطغى على ملامحه، هي مشاعر ذات طبيعة كلها دينية.

4- رحلته إلى الحج وعودته إلى الجزائر:

أراد محي الدين، وقد ناهز الخمسين من العمر، أن يترك الجزائر إلى الديارالمقدسة في مكة المكرمة، ليؤدي فريضة الحج، ويبتعد، الجو العاصف بايالة وهران، فاعتقد أن تصرفه هذا يخفف من نقمة الباي حسن وغضبه، ويعطي ولده الفرصة لزيارة ثقافته الدينية بزيارته موطن الوحي.

وفي أوائل سنة 1826 اتخذت احتياطات كبيرة واستعدادات كثيرة لتنفيذ هذه المهمة، فقرر محي الدين اصطحاب ابنه عبد القادر الفتى، إذ كان عمره ثمانية عشر سنة فقط. غادرا الاثنان"القيطنة" مع عدد كبير من زعماء سهل اغريس واتجهوا نحو مع عدد كبير من زعماء سهل اغريس واتجهوا نحو "جديوية" في سهل الشلف، وعندما أوشكوا على اجتيازه،قبض جنود الباي حسن على محي الدين، وولده الذين أرسلا إلي منزل أحد التجار المراكشيين، ووضعت عليهما حراسة خاصة ومراقبة عسكرية شديدة.

ولعل إقدام حاكم وهران على هذا العمل، كان إما لمنع تثبيت شعبية هذا الشيخ وخنقها في مهدها، إما لاعتقاده أنه متوجه إلى مصر لطلب نجدة من محمد علي بغية قلب نظام الحكم التركي في الايالة، أو على الأقل التخفيف من قوته.

استمر هذا الوضع حتى منتصف سنة 1826م، إلى أن أفرج عنهما الباي، بعد تدخل مصطفى بن إسماعيل والمزاري لدى والدته وزوجاته، فأسر محي الدين بالعودة إلى قريته

لرؤية أهله مجددا، لكنه استدرك الوضع وخاف من عواقبه الوخيمة، فقرر استئناف حجه إلى مكة مع أتباعه.

غادر محي الدين وولده وهران في شهر تشرين الأول سنة 1826م سالكين طريق التلال الشرقية العالية، ومرتفعات قسنطينة فتونس، حيث مكثا بض الوقت وشاهدا العالم الحضارية، انتصر الجميع تحسن الطقس للتوجه إلى الإسكندرية بحرا، لكن عاصفة قوية كانت قد هبت في خليج تونس، وأحبطت محاولتهم أولا وثانيا، إلى أن نجحوا في الثالثة ووصلوا إلى الميناء المصري بعد إبحار دام خمسة عشر يوما.

وبعد أيام تركا القاهرة وسلكا طريق السويس – جدة –،وفي أوائل 1827م وصلا مكة، المحطة الرئيسية من رحلتهما، وهناك أتما واجباتهما الدينية.[1]

ومن مدينة الرسول توجها إلى دمشق، حيث أتيح لعبد القادر قرابة شهرين، فرصة الاستمتاع إلى أقوال الفقهاء، وشرح العلماء، وحضر حلقات التفسير في الجامع الأمي، على يد أشهر القراء .

من دمشق قصدا بغداد عبر تدمر، وسكنا إحدى ديار قاضيها محمد زكريا، مدة ثلاثة أشهر تقريبا، خلال إقامتهما فيها زارا قبر الولي عبد القادر الجيلالي، ثم أصدروا عفو عن العناصر التي اشتركت مع قائد عين ماضي في هجومه على معسكر، وأن شقيقه المتهم علي أبو طالب عاد إلى منزله، من غير أن يعرض لإهانة أو ملاحقة .

بعد هذه الإقامة في عاصمة الرشيد عاد إلى مكة ثانية، منها توجها إلى الجزائر عبر طرابلس الغرب، حيث قفا زارا قبر مصطفى بن المختار، ثم تابعا سيرهما إلى تونس، فوادي الحمام الذي وصلاه في أوائل سنة 1829م، حيث تكاثرت الوفود، وتجمع المستقبلون لتقديم التهاني بسلامة العودة.

[1] أديب حرب : التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ص 75.

إن هذه الرحلات الطويلة المتعبة في رمال الصحراء المحرقة، وهذه التنقلات المتعددة المحفوفة بالمخاطر ليل نهار، زادت قدرة عبد القادرعلى تحمل المصاعب والمتاعب، وتعلقا بالله الخالق الأمور السماوية.

حيث استفاد عبد القادر الفتى من هذا الحج أشياء كثيرة، فاطلع على التقدم الحضاري في الديار التونسية، على مجهودات محمد علي لإرساء الحكم في بلاد النيل، أتاح له أيضا معرفة النظم الحديثة المعتمدة في أرض الرافدين، فرصة أداء واجباته الدينية في موطن مهبط النبوة.[1]

5- مبايعة عبد القادر :

كتب المؤرخون الكثير عن المقاومة الشديدة التي واجهتها القوات الفرنسية منذ اللحظات الأولى لدخولها مدينة الجزائر، من الحكومة و الشعب عام 1830م، وما من مؤرخ إلا وكتب عن الملاحم البطولية التي قام بها، السكان بقيادة سيدي محي الدين، الرجل الذي كان يملك مكانة عالية وكلمة مسموعة، والانتصارات الباهرة التي أحرزها في مقاومته للغزاة في معارك (خنق النطاح) الأولى و الثانية، ورأس العين، و البليدة و غيرها، مما جعل جميع القبائل تجتمع وتقرر الإسراع إلى مقر سيدي محي الدين في مزرعته القيطنة، وتبايعه على الحكم، وإدارة شؤون البلاد ومقاومة العدو.[2]

فعندما كثر القتل وعظم الكرب، ألح أهل العهد والحل من المرابطين والأشراف، والعلماء، والأعيان، والرؤساء إلى الشيخ محي الدين بن مصطفى، أن يقبل الإمارة غير أن محي الدين اعتذر لهم لكبر سنه، فأشار على مجموعة من العلماء والأعيان، بابنه عبد القادر، الذي يتحلى بصفات القائد، من أهلية وكفاءة، وأخلاق وحظي اقتراحه بالرضا من طرف الحاضرين، وقد تمت مراسم البيعة حسب رواية سيدي محمد،وفي الثالث من شهر رجب سنة 1248هـ الموافق ل 27 من شهر نوفمبر سنة 1832م، ووقع الأعيان والعلماء

(1) المرجع السابق ، ص 77.
(2) الأميرة بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق ، دار المعرفة ، الجزائر ،2008 ،ص 28 .

الذين شهدوا البيعة على الصك الذي سجلت فيه إثباتا لشهادتهم على هذا الحدث، ولما تمت البيعة كلف الأمير مجلس العلماء بأن يكاتبوا رؤساء القبائل في مختلف أطراف البلاد بأمر البيعة وما وقع عليه الاتفاق، ويدعوهم للحضور، لأداء بيعتهم كما أداها غيرهم وكذلك سارعت الوفود التي تمثل مختلف والقبائل، وانعقد مجلس عام اشتركت فيه الجماهير الشعبية والأشراف، والعلماء والرؤساء، وجرت فيه البيعة الثانية في قصر الأمامة. [1]

ومنه نستخلص مما سبق أن الأمير عبد القادر الجزائري يعد من أهم الشخصيات الوطنية، التي صنعت أمجاد المقاومة الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، ويعتبر من عظماء التاريخ أيضا، محققا بذلك مكانة هامة بعد انتصاراته العديدة، والتي شهد له بها الأعداء قبل الأصدقاء، بعد أن أبهرهم في ساحات المعارك بطلا وبتركه للحرب جنوحا للسلم حكمة، وإدراكا لماهيات الأمور وطبيعة الموازين بفكره العميق.

وقد حقق الأمير هذا الصيت، بفضل قوة الفكرة التي حملها كلواء لمقاومته من منظور إسلامي عربي، وبفضل إيمانه الكبير انضم الأمير عبد القادر إلى مصاف القادة القلائل في العالم الذين جمعوا بين قوة السيف والقلم والحكمة.

[1] شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ص 40 .

المبحث الثالث: حياة الأمير عبد القادر الروائية

1- احترامه البالغ لتقاليد الأسرة والمجتمع:

كان الأمير دون تكلف متمسكا بتقاليد الأسرة، ودودا لأهله، معروفا بطاعة والده، ومنذ رحلة حجه كان يحرص على خدمة والده بنفسه، وكان يرى في والدته مثله الأعلى، فبربها وحنّ عليها واستشارها دائما حتى في أصعب لحظات حياته، كما بقى دوما محافظا على التقاليد التي تعلمها منها، تلك المرتبطة بالعقيدة الدينية.

كما ظل الأمير محافظا على صلة الرحم بأهله عن طريق مراسلته لإخوانه ممن اتجهوا إلى المغرب الأقصى بعد "1258هـ/1842م" وهم سعيد ومصطفى وحسين، واشتراطه عند استئمانه سفر أهله مع وبره بهم وبحاجتهم في دار الهجرة. [1]

2- التواضع والزهد:

اتصف الأمير بالتواضع، لكنه لم يكتف بنسب هذه الصفة لنفسه، بل كان يلزم مساعديه بالتحلي بالتواضع، وماينجز عنه من مساواة وعدل وإنسان، فهوقدوتهم في ذلك، فهو أول من أنكر على أهله البذخ وأولهم زوجته التي انزعج منها أيّم انزعاج لارتدائها الحلي والثياب الغالية الثمن.

وكذلك أخوه الذي رآه يرتدي برنسا به شواشي وحواشي من الذهب، فقطعها لأنه يمقت التباهي ويحب التواضع. [2]

إذن كان الأمير يتواضع من أجل نفسه، وكذلك من أجل الآخرين لأنه يعرف نوازع النفس البشرية، ويعرف أن علاجها لا يكون بالقوة، بل بالمبادرة والتطوع وتربية المجتمع وتعويده على لتواضع والتكافل، وهذا ما يجدد العبرة الدينية عند جنوده ويجعلهم يمددون الصمود إلى أجل غير مسمى.

---

[1] الأمير عبد القادر الجزائري : ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتحقيق ممدوح حقي، دار اليقضةالعربية،بيروت ،ط3 ،1965م،ص8

[2] شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ص 40

فالأمير عبد القادر أثبت سلوكه الأخلاقي أنه مثال الشخصية المصلحة،التي لا تطمح إلا لبناء الدولة، فهو لم يهتم بهذه الدنيا لأنه تربى على قناعة تامة، بأنها فانية، ولهذا لم يحب الثروة والغنى في بداية جهاده،وكانت نظرته للمال خاصة، لأجل تحقيق الغايات الخيرة التي سمح بها الدين، فعاش حياته ببساطة.

3- الحوار وحب التواصل مع الغير :

كان الأمير عبد القادر يحب الاتصال والتواصل مع الغير، كما كان يؤمن بمفهوم السعي وراء المصالح الدبلوماسية وأدب الحوار، والمناظرة لقضاء عمل أو عبادة، ولهذا لم يكن ليحب الانزواء، ينمي وعيه بالأحداث التي تجري في العالم، لدرجة أنه اشترك بانتظام في الصحافة الفرنسية، ووضع من يترجم له المقالات الهامة عن الجزائر، ومناقشات البرلمان الفرنسي، ومشاريع بعض الأحزاب الفرنسية وسياستها كالحزب الليبرالي الفرنسي. [1]

4- الأمير وصورة المثقف العربي:

تجتمع في شخصية الأمير صفات كثيرة،فهو القائد السياسي والعسكري ورجل الدين، وهو الرجل المثقف الحريص على الكتب ومطالعتها، متشوق دوما إليها، تحدوه لهفة كبيرة للعودة إليها، بعدما حرمته الظروف من الاستمتاع بها بالجلوس إليها، وهو ما يعبر عنه بقوله: "**كم أتمنى أن ينتهي هذا البؤس وأعود إلى كتبي** "، [2] وكان يبكي على كتاب أكثر من بكائه على عزيز.[3]

وهذه رسالة أراد الكاتب أن يوجهها إلى القارئ، بدءا بعنوان الرواية "كتاب الأمير"، لأن الكتاب هو الذي يحفظ ذاكرة الشعوب، والأمم التي كثيرا ما تنسى ذاكرتها، وتتنكر دوما لأهل الخير، ولا تحفظ لهم فضلهم، وهو ما جعل الأمير أيضا يحمل هم كتابة سيرته بنفسه، يقول : "تكتب حياتنا مثلما عشناها بدون زيادة أو نقصان، أفضل من أن يرويها غيرنا عنا بوسائله التي ليست دائما طيبة، ليست أفضل من امرئ يقول تاريخه وينير الطريق للناس

---

(1) المرجع السابق، ص 146 .
(2) الرواية ، ص196 .
(3) الرواية ، ص 289 .

الذين قاسموه نفس الأشواق والآلام، الآخرون الذين يشتهون تأويل التاريخ، كما تقول لهم رؤوسهم، لا يسألون أحدا عندما يريدون الإساءة.[1]

فالأمير وإن كان يعيش في الماضي فعلا، إلا أنه يعبر عن المستقبل من خلال أفكاره وتطلعاته وطموحاته، من خلال مشروعه في إيقاظ الناس من سباتهم، وتغيير الذهنيات، وبناء الدولة وتوحيد الناس تحت سقف واحد ، بعيدا عن سلطة القبيلة، فمعاناته لم تكن نابعة من صراعه مع العدو فرنسا، بل صراعه مع محيطه الثقافي والفكي والديني، لذاك كان يسعى إلى تغيير كل شيء، وعلى كل المستويات بما فيها الدينية، يقول الراوي على لسان الأمير في حوار مع القس : "امنحني من وقتك قليلا، لأتعرف على دينك، وإذا اقتنعت بهسرت نحوه .

ولطالما حاول الكاتب أن يبرز ذلك الصراع القائم بين الأمير "المثقف"،المقدس للعلم ولأهل العلم، وبين المحيط الذي يعيش فيه، والذي يتخبط في الجهل والفقر والرجعية، فالرواية لا تظهر لنا الأمير كمحارب لعدو اسمه فرنسا، بل إن كل عداوته موجهة ضد محيطه وأبناء جنسه، وحتى هذه الحرب التي قادها ضد فرنسا، لم يختر طريقها بنفسه، بل دفع إليها دفعا، فوجد نفسه بين رحاها، ولطالما حرص بعد توليه القيادة على حفظ السلم و الدفاع عنه بالسعي إلى عقد المعاهدات، كلما سمحت له الفرصة، يقول الأمير في حوار مع القس: "معنى الجهاد ليس أن تقتل كل من يصادفك، بل هو أن ترفع السيف إذا أسدت أبواب السلم، ديننا يقول إذا أجنحوا للسلم فاجنح له.[2]

وفي كل الحالات يتخذ الكاتب من الأمير الشخصية المصححة لنظرة أتباعه يدافع عن الآخر، ويهاجم أفكار أهله ومحيطه، مما ولد لديه إحساسا بالغربة والمعاناة، وجعله يعيش قلقا دائما في علاقته مع ذاته أو محيطه، ولا يجدر عزاؤه إلا في كتاب "الإشارات الإلهية" وبالضبط في صفحة الغريب.[3]

---

(1) الرواية، ص 175 .
(2) الرواية، ص 214 .
(3) الرواية، ص 148 .

وقد عبر الكاتب عن هذه المعاني حيث كان الأمير على متن السفينة متجها نحو مقصورته، لا شئ سوى الأمواج المتعددة التي كانت تتكسر على حافة السفينة، اتكأ بظهره ثم فتح الكتاب الذي لم يغادر يده "الإشارات الإلهية"وتوقف قليلا عند فصل الغريب الذي ملأ قلبه و عينه:" يا هذا.....فأين أنت عن غريب، طالت غربتك في وطنه، وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه، أين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة له على الإستطان..."."[1]

فالرواية سعت منذ بدايتها إلى تكريس سمة " التغيير"، ذلك المنهج الذي سلكه الأمير في التعامل مع أهله وجنده و أتباعه، وكل من هو تحت إمرته، التغيير في العادات والتقاليد وفي طريقة التفكير و طريقة اللباس،والحصول على الرزق والتعامل مع الصديق أو العدو، وتغيير العقلية البطولية التي عششت في أذهان شعب مازال يؤمن بالانتصار دون تقديم الأسباب.

نستخلص مما سبق أن الأمير يعد من الرجال القلائل الذين جمعوا بين تأسيس الدولة والفكر بحيث لا يمكن تنافي دوره في العالم العربي الإسلامي، ولهذا يعد كنموذج للحكام المثالي لأنه لعب عدة أدوار في نفس الوقت بحيث اجتمعت فيه كل الوظائف الإنسانية.

المخولة لصنع شخصية البطل، في الدين والعلوم والتربية، والاقتصاد والمعاملات، وكذلك دور القدوة لكل الأجيال لأنه ترفع عن كل تكبر تافه على الإنسان، وتعامل بذلك مع الجميع، بروح علمية وإنسانية ساعده على ذلك عوامل عدة منها : نسبه الشريف والبيئة التي احتضنته، والزاوية القادرية التي ربته، إذن فالأمير كان يعرف قيمة العلم ولا يبخل به على أتباعه ولم يهمل حتى العلوم الدنيوية في ذلك، فهو يريد بهذا بناء دواة الإسلام دولة عقائدية، مهمتها المحافظة على الأخلاق الإسلامية، عن طريق إرشاد و توجيه الأفراد، فدولة الإسلام لم تقتصر في وظائفها على الأعمال الدنيوية بل أيضا على الأعمال الأخروية، بالرجوع إلى ما يأمر به الشرع الإسلامي.

---

[1] الرواية، ص454 .

المبحث الرابع : مقارنة بين الشخصية الروائية والشخصية الواقعية

1 – حياته التاريخية :

كتب المؤرخون الكثير عن المقاومة الشديدة التي واجهتها القوات الفرنسية منذ اللحظات الأولى لدخولها مدينة الجزائر، من الحكومة والشعب عام 1830م، وما من مؤرخ إلا وكتب عن الملاحم البطولية التي قام بها السكان بقيادة سيدي محي الدين، الرجل الذي طان يملك مكانة عالية، وكلمة مسموعة، والانتصارات الباهرة التي أحرزها في مقاومته للغزاة في معارك خنق النطاح الأولى والثانية، ورأس البعين، وبليدة وغيرها، مما جعل جميع القبائل تجتمع وتقرر الإسراع إلى مقر سيدي محي الدين في مزرعته القيطنة، وتبايعه على الحكم، وإدارة شؤون البلاد مقاومة العدو، وهناك إجماع أيضا من المؤرخين إنه اعتذر لكبر سنه، فرشح لهم ولده عبد القادر البالغ من العمر أربعة وعشرين عاما، لما اظهر في تلك المعارك من شجاعة، ورباطة جأش، وحكمة في تنظيم المعارك،ومن آراء صائبة،بعد الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830م سادت الفوضى في المدن الجزائرية وعمّ البلاء، واشتعلت نار الفتن، فكتب محمد طاووس مؤلفا صغيرا من ثلاثين صفحة، اعتبرت وثيقة لأنها تضمنت وصف حالة البلاد بدقة، وعندما اجتمع علماء البلاد وزعماء القبائل لمبايعة سيدي محي الدين، واحتكموا إلى هذه الوثيقة، بعد رفضه واعتذاره اكبر سنه، فرشح لهم ابنه عبد القادر، حيث كانت الدعوة عامة، لذلك الاجتماع التاريخي الكبير عام 1832م.

ويذكر الأستاذ المهدي البوعبدلي في مقالة بمجلة الثقافة الجزائرية والذي تحت عنوان (وثائق أصلية) بأن كل من اجتمع في المرة الأولى والثانية في المسجد بحي عين البيضاء استند في مبايعته لعبد القادر إلى هذه الوثيقة التي كانت على درجة وافية من الإقناع بوجود حاكم وقائد للبلاد في تلك الظروف، وهذه الوثيقة كانت عبارة عن كتيب صغير. [1]

وبعد قبول عبد القادر هذه المهمة العظيمة كوّن أسسا لهذه الدولة على هدى القرآن، الدستور الإلهي، وكانت المناصب بيد الأكفاء من الإداريين فكان يقاتل بيد و يبني بيد،

[1] الأميرة بديعة الحسني الجزائري : الأمير عبد القادر (حقائق ووثائق)، ص 28 .

ويتقدم المجاهدين على ظهر جواده في جميع المعارك وينتصر، وشيد إلى جانب كل مدينة حصن يدافع عنها، قال الدكتور عبد المجيد مزيان، وزير الثقافة عام 1983م، لقد أدرك عبد القادر أن الساحل قد تزعزع نتيجة فشل مقاومة داي الجزائر حسين، فخطط لاسترجاع تلك الجهة، ففتح الثغور في ميناء الغزوات، وحاصر مدينة الجزائر من القليعة إلى جبال جرجرة، واعتمد بالدرجة الأولى على عمق البلاد وحركة السكان، وشيد الحصون التي سميت بمدن عبد القادر منها سبدو، سعيدة، داكمنت، بوغار، وقد تحدث الدكتور رشيد بورديبة بإسهاب عن الحصون في دولة الأمير فقال : "ما من شك في أن هذه التحصينات كان لها دور مهم في استراتيجيته."

وأضاف : " إن سيدي مبارك أئتمر بأمر الأمير عبد القادر فبنى قلعة (بلال)،وهو جبل يقع على مسافة يومين من مليانة، حيث يستخرج الكبريت ويصنع البارود، وأمر أيضا ببناء قلعة (شرشال)، ووضع فيها حامية وعددا من المدفعية، وكانت تصنع فيها القذائف، وقال الدكتور رشيد : "إن مصنع مليانة للأسلحة مازال موجودا حتى الآن، ولا تخلوا واجهة بنائه من موقد، على الغم من حالة التصدع بفعل الزمن "، وأمر عبد القادر أيضا ببناء قلعة في جبل بني سناسن على بعد أربعين كيلومترا جنوبي مغنية، وكلف أحد المختصين فأنشأ مطحنة للبارود في قلعة بني راشد على غرار مطح تلمسان، وهذه القلعة كانت إلى الشرق من مدينة معسكر قرب البرج .

وذكر الأستاذ مولود بالقاسم: أن عبد القادر رجل دولة، تولى القيادة السياسية والعسكرية إثر البيعة الثانية، وجعل دولته مكونة من وزراء وخلفاء وقادة محليين، ولم يصنع السلطة مطلقة بيده، وإنما جعلها معززة بمجالس شورى وفتوى، لضبط الخطط والقوانين.

وذكر الدكتور رشيد أيضا : الديمقراطية كانت عند عبد القادر تعتمد على الشورى حتى من خارج الوطن، فكان يستعين برجال العلم من الأزهر، والزيتونة، والقرويين بفاس، كبار

الفقهاء في العواصم الإسلامية، حرصا على ضبط أمور الدولة، والاجتهاد وربط أطراف الأمة الإسلامية، وجمع الشمل من أجل التصدي للعدو الاستعماري.[1]

2- بناء الحصون ومصانع الأسلحة :

نظم الأمير الكثير من الأمور التي تهم الشعب والجيش، وشيّد الكثير من القلاع والحصون، فأمر ببناء حصن بين الخط الفاصل بين السواد والصحراء، وحصون أخرى منها حصن سعيدة، وحصن سبدو في الجهة الغربية، وحصن تاكمدت الشهير في الجهة الجنوبية والشرقية، وحصن بوغار، وحصون سبا، وحصن طازه.

وقد تحدث كل من المؤرخ الفرنسي "إيفير"ليون روش "و"دولاكروا" عن هذه الحصون وتاريخ بنائها،يقولدولاكروا :"إن الخليفة بن علال أشرف على بناء هذا الحصن وكانت الكتابة تزين النادي العسكري في مدينة الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي، أي قبل الاستقلال، وقد نقلت من الحصن بعد تخريبه ووضعت على طاولة خشبية، وكان الخط الذي كتبت به أندلسيا، وكانت حروفها عالية، وهذا نصها : " الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، شيّد هذه البلدة (طازه) وبناها أمير المؤمنين سيدنا الحاج عبد القادر نصره الله."

وهذه الاستراتيجية التي خططها غطّت جوانب عسكرية عديدة هجومية ودفاعية، و أمنت حماية للمدن و المداشن، ومواقع المياه، ومناجم المعادن، وكان كل محافظ مدينة، يسمى خليفة في ذلك الوقت، يمد حاميات هذه الحصون بالسلاح قبل أن ستتكمل اكتفاءها الذاتي، فمثلا : الحاج مصطفى التهامي كان مسؤولا في مدينة معسكر عن التنسيق الاقتصادي و العسكري مع حصن سعيدة، والخليفة محمد بن علال محافظ مدينة مليانة كان مسؤولا عن حصن تاز.

يقول الدكتور الجيلالي : " إن أول ميزة للأمير عبد القادر هي تصميمه على إنشاء دولة عصرية وتوحيدها، وسعيه الحثيث لتسخير كل شئ، ولتنظيم الكفاح وتوسيعه ليشمل

[1] المرجع السابق، ص 32.

مناطق شاسعة سرعان ما تجاوزت إقليم باي وهران، ثم فرض نفسه فرضا على العدو و أجبره على التعامل معه ندا لند من الجهة العسكرية.

فقد كان يقود ثورة مزدوجة، ثورة دفاعية مسلحة،وثورة اجتماعية إسلامية اكتسب مقوماتها من القيم العربية الإسلامية العريقة لذلك نجد أن تلك الحروب لم تكن بين قوتين فحسب، بل بين الخير والشر، وبين العدل والظلم.[1]

وقد اجمع المؤرخون من أجانب وأنصار على أن سلوكيات الأمير عبد القادر كانت تتسم بالفروسية و الإباء و الإنسانية، و قوة الإرادة نذكر منها:

أ- **قوة الإرادة :** جمع الأمير عبد القادر بين قوة الإرادة في الدفاع عن الإسلام وبيت قوة التركيز والتفكير و البحث العلمي، مما جعله مؤهلا حين بدأت المقاومةمن القيادة بجزم مظهر قوة شخصيته وعزيمته التي لا تكل في الحق ولا تلين، رغم صغر سنه استطاع تحمل مسؤولية الجهاد و مسؤولية خوض الحرب مع قلة الإمكانيات الكافية لمواجهة و مطاردة الاستعمار.[2]

فهو عندما يتلقى رسائل التهديد، يمتع ضيوفه الفرنسيين لحكمه الذي يدل على قوة شخصيته، ورغبته في إبراز ثقته الحقيقية والكبيرة بنفسه، و بإمكانيات جيشه المجاهد، حين قال مقاربا لحاله مع حال السمك في الماء وصعوبة صيده قائلا : "عندما تكون جالسا على الشط وأنت تنظر إلى السمك السابح بحرية في البحر، فإنه يخيّل إليك أن الأمر لا يحتاج إلاّ إلى مد اليد لصيده، ومع ذلك فإنه يجب توفير كل المهارة وشباك الصيد، إذا كان المرء يرغب في أن يكون سيد الموقف و الأمر، كذلك بالنسبة للعرب.[3]

ب- **الفروسية :** صقل الأمير هواياته العربية الأصيلة و المفضلة وهي الصيد بإجادة الفروسية، فأحب الفرس و ساعدته قبيلته على اكتساب هذه الموهبة، فافتخر بإتقانه صيد الغزال والنعامة، كما افتخر باندفاعه، وحنكته، حيث أن هذه المغامرات العنيفة كانت تتطلب

(1) المرجع السابق، ص 33 ،34 ،35 ، 36 .
(2) عمر بوزيان : جذور اتحاد المغرب العربي ، ص 85-86 .
(3) أدريان بيار بروجير : رحلة إلى معسكر الأمير عبد القادر 1837-1838 ، ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله ، مجلة الذاكرة ، العدد 5 ، ص 07 .

الكثير من الجهد البدني و العقلي معا، كما تدرب في نفس الوقت على الحرب، ولدرجة حبه الشديد للصيد لم يكن يشغله عنه غير القيام بالجهاد و العلم فقط، كما كان الأمير يكمل لقب الفارس الذي ناله عن جدارة بركوبه لجواد قاتم السواد والذي يدل على استعدادات الحصان الممتاز ولأنه يمثل الضد للون برنسه الأبيض فيجعله محل انتباه و بجدارة. [1]

حيث يعمل الروائي الجزائري "واسيني الأعرج"في روايته "كتاب الأمير" على إعادة بناء التاريخ الصامت للأمير عبد القادر الجزائري الذي قام بمقاومة أولى موجات الاستعمار الفرنسي، وأخذ منفيا لمدة طويلة في فرنسا، قبل أن يتم ترحيله لاحقا إلى المشرق العربي تنفيذا لاتفاق عقده مع الحكومة الفرنسية التي تلكأت في تنفيذه مدة طويلة.

فهو يعيد الاعتبار إلى الدور التاريخي الذي قام به الأمير في الدفاع عن الجزائر، ويقدم مشهدا واسعا للجزائر قبل الاستعمار، وما خلفته التركة العثمانية من سوء إدارة، وجهل، ومجموعة علاقات بدائية بين القبائل ودولة مهدمة حاول الأمير إعادة بنائها قبل أن يفاجئه الفرنسيون بخططهم الاستعمارية.

فهو يقوم ببناء الصامت في سيرة الأمير عبد القادر ويفضح تقرحات الحرب وعدم جدواها، ولا يبرئ أحدا حين يحدث الموت، فهذه الرواية تعيد وصل الأمير بيوميات صعبة و حقيقية بشكل جارح، فإننا هنا نتعرف على خيباته وإلى الرجال حين يُخذلون، يَخذلون، إلى المناخ السري للصفقات، إلى حقائق القوة التي لا تكفي لقهرها شعارات النضال ضد الكافر.

فالرواية تنتقل عبر أكثر من محطة، ترصد تحولات الأمير أثناء قيادته مهمة مقاومة الفرنسيين، و المحافظة على دولة تنتقل مع الخيام التي يحملها في حراكه المستعمر في أنحاء الجزائر بعدما دمر الفرنسيين عواصمه واحدة تلوى الأخرى، ويكشف لنا في الرواية شكل الدولة الجزائرية التي كان الأمير يريد إقامتها، والعلاقات السياسية المتوترة مع السلطان المغربي، والقبائل المتمردة التي تعتمد على السلب والغزو، والتي أراد الأمير تمدينها، وتبين لنا كيف أدار العلاقات مع القوى الأوروبية أثناء مفاوضاته، وصراعه السياسي مع الفرنسيين

[1] شارل هنري تشرشل : حياة الأمير عبد القادر ، ص 40 .

قبل دخول الأزمة بينهما، وكيف سقط رفاقه شهداء في أثناء المعارك، وكيف ارتكبوا المجازر أيضا أمامه.[1]

فهذه الرواية تبرز الصراع الذي كان يعاني منه الأمير مع الاستعمار، وتغيير النظرة إلى الآخر من جهة، وصراعه مع القبائل التي بايعته وتخلت عنه من جهة أخرى، ويعبر الراوي عن ذلك مباشرة بعد مبايعة الأمير، وخوضه أولى معاركه ضد الجيش الفرنسي، حيث "تأكد الأمير أن الحرب التي يخوضها تحتاج إلى وسائل أخرى، الزمن تغير وأنه كان على حافة عصر انتهى، وآخر لا أحد يعرف ملامحه، سوى أن الموازين تغيرت بشكل صارخ. [2]

وتتمحور جل حوارات الأمير مع أتباعه، أو من هم تحت إمرته حول موضوع واحد ظل يكرره في كل مرة، وهو بناء الدولة، بتغيير الذهنيات، وإعداد العدة استعدادا للمواجهة والوقوف يدا واحدة ضد العدو الغازي، فبعد توليه الإمارة حاول الأمير إجراء تغيرات جذرية في العادات والنظم والتفكير الجدي في بناء الدولة الجديدة، جاء ذلك في حواربينه وبين أخيه، يقول الأمير معنفا أخاه : "إبتداءا من اليوم كل شيىء سيتغير، لسنا بحاجة إلى هذا البذخ، لكي نحارب الآخرين، الانتصار على الغزاة صعب، نحتاج إلى أسلحة حقيقية، إلى الماء، إلى زراعة مغذية، نحتاج إلى تغيير سلوكاتنا اليومية، نفكر كيف نصنع المدافع والأسلحة الحقيقية والسيوف بدل أن نكتفي بالتصليحات."

وتبن لنا الرواية عدة معارك قام بها الأمير عبد القادر، منها من انتصر فيها ومنها من خسر فيها الكثير من جيشه وسلاحه، ومن بين المعارك التي قام بها و أحسن بالضعف فيها هي عندما دمّر دوميشال قبائل غرابة وأخذ مالها، وهتك أعراضها، يتأثر الأمير بهذا كله، خاصة عندما يرى الغزاة في وهران، وهم يتحدثون عن اقتسام الغنائم يقول محاورا أباه : "يا أبي لا تجعلني اندم على إمارة لم اطلبها، حروب المسلمين الغزاة لم تعد نافعة، الكلام لم يعد

[1] الرواية ، ص 52 .
[2] الرواية ، ص 98 .

نافعا، كنا نظن أننا الأفضل في كل شئ وبدأنا ندرك أن الآخرين صنعوا أنفسهم من ضجيجنا الفارغ".[1]

فعندما توجه الأمير إلى وهران لحصار المدينة و إغلاق منافذها والقضاء على قوات دوميشال، لم يساعده المناخ الممطر الذي أعاقه في الهجوم على القلعة، فتوقف الأمير حتى توقفت الأمطار، ثم رفع الرايات البيضاء كتب حولها بخط واضح : " نصر من الله قريب "، وعلى الثانية صباحا تقدم هو و الجيش وبدأ هجومه، ولكن أسلحته البسيطة لم تصب أي شئ من القلعة،في حين كان الرد عليها عنيفا،فقرر الأمير العودة إلى معسكر بعد اكتشافه أن أسلحته لم تكن قوية بالشكل الذي أراده في تدمير القوات الفرنسية.[2]

ومع هذا المطر والبرد القارس، أراد الأمير الذي كان الإنهاك باديا على وجهه، التحرك من جديد، فدخل المسجد هو وقادته لصلاة صلاة الجمعة، وهناك بدأ يطلب الله فيقول : " اللهم أعني، فقد فرضت الحرب علي ولم أفرضها على أحد،الله يعلم ما تسرون و ماتعلنون أنتم أول من يدعم المؤامرات ضد هذه الحكومة التي طالبتهم بها لقمع الفساد، كيف يمكن لحكومة أن تستمر بدون ضرائب؟[3]

ورغم شعوره بالخوف من العدو إلاّ أنه متمسك بإيمان الله ورسوله واليوم الآخر، ولم يفقد الأمل في الانتصار، فخرج في 22 أفريل 1835م باتجاه المدية بمساعدة كل من الحاج محي الدين، الصغير بن مبارك ومحمد البركاتي، وهجموا على الدرقاويين، وفي الأخير دخل الأمير منتصرا إلى المدية، وهناك أوتي بالمساجين وكان من بينهم أخوه سي مصطفى الذي خانه،وانظم إلى الدرقاويين، فطلب الصفح من الأمير وحاول أن يقبل يده، لكن الأمير خرج، ترك الأمر للمجلس القضائي للحكم بحرية، ولكن المجلس أعفى عنه، ووقع على وثيقة بعدم الرجوع إليهم، و أمره المجلس بمحاربتهم. [4]

---

[1] الرواية، ص ، 83 .
[2] الرواية، ص 97 .
[3] الرواية ، ص 110 .
[4] الرواية ، ص 120 .

وإضافة إلى هذه المعارك التي قادها الأميرهناكمعركة "عين ماضي "التي جرت كلها بين فصلي الخريف والشتاء، إذ يبين فيها الراوي مهارة الأمير العسكرية وخططه الحربية بخلاف المعارك التي خاضها ضد الجيش الفرنسي.

وتتواصل الأحداث وتتداعى الأخبار السيئة، فيبين الراوي الحالة النفسية التي أصبح فيها الأمير، فسلطان المغرب استسلم لمنطق القوة، وأصبح يطالب برأس الأمير معتبرا إياه خارجا هن القانون، وسبعمائة وستون ضحية، الذين اختبؤوا داخل غار بجبال الظاهرة هربا من هجمات العساكر الفرنسية، أحرقوا عن آخرهم مع ممتلكاتهم وخليفة القبائل داخل غار بجبال الظاهرة هربا من هجمات العساكر الفرنسية، أحرقوا عن آخرهم مع ممتلكاتهم وخليفة القبائل " ابن سالم ابن سالم "يئس من الحرب،وبدأ يستعد لتسليم نفسه، والخيانات كثرت، وعدد المرتدين زاد، وجيش الأمير في تناقص مستمر بسبب مطاردة الاستعمار له أينما حل.

وتبين الأحداث أن الأيام بدأت تدير ظهرها للأمير، وأن بساط الزمن قد بدأ ينسحب من تحت قدميه، وأن مشروع الذهنيات ومقاومة الاستعمار، وبناء الدولة بدأ ينهار، خاصة بعد ضياع آخر ورقة كان يعوّل عليها للتفاوض مع الجيش الفرنسي، وهي ورقة المساجين الذين ذبحوا في غيابه ليتبين له أن كل تعليماته لجنوده حول حسن معاملة المساجين، [1] ذهبت في جرة سكين صهره مصطفى بن التهامي، الذي ذبح في ليلة واحدة أكثر من مئة وسبعين رقبة، يقول الراوي : "وفي الليلة الموالية سار نحو القفر بحثا عن مسلك آخر،لكن الزمن كان قد توقف نهائيا، لم يعد الناس هم الناس الذين عرفهم من قبل، أحس وهو يعبر الصحراء الخالية، أن الزمن الذي كان يعيشه، هو هذا الزمن الرملي القاسي الذي لا يرحم أحدا، يأكل كل شيء حتى الحديد والحجر،ماذا بقي من الزمن الذي انسحب بسرعة، منكسرا في آخر ما لديه. [2]

[1] شارل هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر ، ص 42 .
[2] الرواية ،ص355 .

فحين أرسل الأمير أحد خلفائه (مبارك بن علال)، إلى سلطان المغرب للمساعدة استشهد من طرف القوات التي كانت تراقبه، فيعلن الأمير المعركة ضد سلطان المغرب، فحين قلت فرصة النجاة وحوصر بين الجيش الفرنسي والمغربي، فضل الأمير عبد القادر وجنده المقاومة على الاستسلام، وأقحموا أنفسهم في معركة ضارية ضد سلطان المغرب.[1]

فقوة الأمير وشجاعته في المعركة، أبهرت الجميع إلى درجة أنهم ظنوا أن الأمير من سلالة الرسول، وأن القوى التي تساعده قوى خارقة،فنسجوا عنه قصصا عجيبة حول انتصاراته.

فعندما انتصر الأمير في سيدي إبراهيم في آخر معاركه مع الفرنسيين، الكثير من الناس قالوا أنهم رأوه يجابه الغزاة بصدر عار، والدم ينزف من أطرافه، وبجانبه سيدي إبراهيم نفسه، كان مرفقا بهالة من النور تعمي الأبصار، يرسل أتربته باتجاه النصارى فيرديهم ويمحوا أحصنتهم حتى قضى عليهم، ومن اختبأ وراء الأشجار والصخور، فضحته هذه الأخيرة بأن أعلنت عن وجوده وراءها، فسجن الزوايا والأسواق والزيارات والحروب تنقل هذه القصص بسهولة.

وعن عبوره واد الملوية قيل في الليلة نفسها أن شيئا غريبا قد حدث قبل بدء العبور، الشمس أشرقت من الغروب، فأوحت للأمير أن مكروها سيحدث، وفي منتصف النهار بدأت البروق تشق صدر السماء بقوة، فعرف أن ما ينتظر فرسانه كبيرا، كانوا قلة فتعددوا، وقيل أن مطرا حميما سقط على جيوش السلطان فأبادهم وجعلهم كعصف مأكول، وقيل أن الأمير وجد نفسه محصورا في مياه الملوية، فبعث الله له بملائكة مجنحة لإنقاذه، وإنقاذ دائرته من هلاك مؤكد، وأصبحت ضرورة مساعدة الأمير عند جميع الناس أمرا محتوما لما سمعوه عنه، وما سمعوا من معجزات عليه من الله سبحانه وتعالى. [2]

---

[1] الرواية ، ص 376 .
[2] الرواية ، ص 414 ، 415 .

وأصبغ واسيني الأعرج شخصية الأمير البطولية بصبغة العجائبي و الأسطوري من منظور الذاكرة الشعبية، "الشاب هذا يا كرام، عليه بركة سيدي عبد القادر الجيلالي و الأولياء الصالحين، عوده مثل البراق، ويطير حصانه للسماء عندما يحاصره الأعداء،سيفه البتار يطفئ البرق من حدّة لمعانه، القرآن في القلب وفي يده سيفه الذي لا ينزل إلى الأرض ولا ينام، ناره ما تروح في الفراغ، ففي موقعة وهران خلاص له البارود،رفد عصاه وحفنه تراب وقال ربي أعني ونوشن صوب عدوّه وفتح يده، فتت العدو اللي كان قبالته". [1]

إن تتبعنا مسار شخصية الأمير في الرواية نجد ملامحها و وصفاتها لا تقدم دفعة واحدة ومنذ البداية، و إنما نكتشفها على مراحل في عودات استرجاعية لمنجزاته فيصور لنا واسيني الأعرج الأمير في المستوى الأول، وهي تجابه غطرسة الاستعمار الفرنسي والاعتداد بنفسه، وتفوق تكنولوجيته الحربية، مما وضع الأمير موضع تساؤل دائم عن مصدرها، وبحسبه يرى أن الآخر يملك إمكانيات حربيةتضعف المقاومة بشكل من الأشكال، وتدفع به نحو الانكسار "ومع ذلك يا وليدي قدور، الزمن تغير، ولم يعد السيف والشجاعة كافيين، نحتاج إلى شيىء آخر لم أعد اليوم أعرفه، ربما القوة التي انسحبت منا، وراحت نحو عدوّنا، لأنه عرف كيف يسخرها "،[2] على الرغم من تلك الانتصارات التي حققها انطلاقا من وعيه، لكن الروائي لا يكتفي بتصوير مشاهد الحرب بين الأمير والفرنسيين، وإنما يتعداه إلى مواجهة من شكل آخر وقوة أخرى نتجت من خيانة ملك المغرب مولاي عبد الرحمن، وهنا تطفوا التاريخية والراهنية على خطاب الشخصيات في رصد مجريات الحرب بتفاصيلها، ومن منظورات متعددة.[3]

أما المستوى الثاني فتتوضح صورتها أثناء مواجهتها ما هو أصعب من الحرب الخارجية، لأن الأمير يقف عاجزا عن تغيير فكر، ومعتقد شعب، وخيانة قبلية في دعوته المتكررة لإنشاء دولة منظمة لها أسسها وأنظمتها المستقلة، وتدمير النظام القبلي كما كان

---

[1] الرواية، ص 69 .
[2] الرواية، ص 410 .
[3] الرواية ، ص 406 .

طموحه تخليص شعبه من الركود الفكري، وبعض المشاكل الناتجة عنه، لذا ظلت هذه الشخصية تواجه مصير المقاومة لوحدها مع بعض القادة، مما دفع بها على الرغم من قدرتها على التخطيط والقيادة إلى التفكير في أحيان كثيرة، منها الاستسلام وترك كل شيئ ليتفرغ للعبادة والعلم.[1]

ويركز واسيني الأعرج في المستوى الثالث من مسار شخصية الأمير بين الانكسارية والانتصارية، على نقطة أساسية يمكن اعتبارها نقطة تحول تاريخية روائية، تتمثل في سجن الأمير في قصر أمبواز، وما عاناه في أحيان كثيرة من حالات الإحباط التي لم يشهدها حتى أثناء خوضه المعارك ضد أعدائه، وخصوصا عندما اتخذ قرار الاستسلام بعد تدمير العاصمة المتنقلة (الزمالة)، لأنه أدرك أخيرا أنه خسر هدفه المنشود، أما باقي الأحداث الأخرى فهي طرح لمسبباته وبحث عن حل هذه المشكلة السياسية، والتي تسببت في إنكسارية الأمير الحادة، وعلى الرغم من إمكانية هروبه في الصحراء، إلا أنه فضل تسليم نفسه هو وعائلته للقوات الفرنسية باتفاقية مشروطة، وقد كان الإختيار صعبا باعتباره مصير نحو المنفى : "معك حق يا ابني، لا شيئ يضاهي الحرية، لكن الأقدار أحيانا أقوى من كل الإرادات، لسنا أول من يختار حل المنفى على الهزيمة المرة التي تبقى في الذاكرة مدة طويلة".[2]

فرغم جهود الأمير الكبيرة، وسعيه الحثيث في تغيير الذهنيات وكسر تلك اليقينيات الموروثة، إلا أن مشروعه فشل وانتهى به في آخر المطاف إلى الاستسلام .

ومما سبق نلحظ أن الأمير عبد القادر ذو أهمية كبيرة، خاصة ما يتعلق بنضاله ومواقفه من الآخر، ويظهر ذلك مما كتب عنه من آثار ترفع من قيمة الرجل، وتعلي مواقفه وسلوكاته حتى جعلته من عظماء التاريخ .

---

[1] الرواية، ص 176 .
[2] الرواية ، ص 422 .

فهو يعد عنصرا أصيلا وهاما في الرواية، لأنه أوقع صدمة تاريخية في ذات "الآخر"، لم نكن نتوقعها منه كما كانيظن أن الوعي النضالي في الريف الجزائري أنه لم يصل بعد إلى درجة الوعي والنضج، نتيجة لما كانت تعانيه الذات الجزائرية من عزلة وتهميش منطرف المتسلطين .

ونستنتج مما سبق الفرق بين حياة الأمير عبد القادر الروائية، وحياته الواقعية نجد أن الأمير في حياته الروائية، كإنسان مثقف، يحب العدل و المساوات بين الناس فهو لا بحب التفرقة و التمييز بين الأشخاص، وما إن تجتمع هذه الصفات حتى يكسب بها صاحبها الثقة والولاء، وهذا ما أدركه الأمير عبد القادر، بعد أن أبح الملاذ الأخير لقومه، خاصة بعد أن وضعوا فيه كل ثقتهم، فأوجب على نفسه إتباع سياسة العدل و المصلحة العامة التي أمره الله بها، لما يوافق الناس ويكون في صالحهم وكذالك من جهة أخرى كان رجل علم يفسر الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، ويراسل علماء العالم الإسلامي مجادلا ومجيبا، ومستفسرا لمعرفته أن الدولة الإسلامية هي دولة العلماء والمجتهدين شعاراتها : العلم و العمل والإيمان.

وأبدى الأمير من خلال بنائه لدولته اهتماما كبيرا بالعلم، وأحاطه بالعناية والرعاية من خلال معاملته للطلاب وإيصال العلم النافع لهم.

فالعلم والتعليم بالنسبة للأمير عبد القادر يعد نشاطا أساسيا للنهضة، ولهذا اهتم بوسائلالارتقاء به من خلال بناء المدارس، وخاصة بعد أن لاحظ الجهل المخيم على المسلمين، وأسس لذلك الغرض نظاما تعليميا بين جميع القبائل أساسه القرآن في كل مراحل التعليم، سواء كان ابتدائيا، أو ثانويا أو عاليا.

وكان الأمير يتميز بالتواضع والزهد، ولكنه لم يكتف بهذه الصفة لنفسه، بل لكل من يرافقه، فهو قدوتهم في ذلك.

وكان يحترم تقاليد أسرته و المجتمع، معروفا بطاعة والديه، ومحافظا على صلة الرحم بأهله، ومن ميزاته أيضا حب التواصل مع الغير، فهو يحب أدب الحوار مع الغير.

أما بالنسبة لحياته كمؤرخ فهو رجل يملك مكانة عالية، وكلمة مسموعة، وشجاع وقوي، وله حكمة في تنظيم المعركة، إلى درجة أنهم حملوه السيادة وبهذا أسس دولة على هدى القرآن، فكان يقاتل بيد ويبني بيد، ويتقدم المجاهدين على حصانه في جميع المعارك وينتصر.

وكذلك يتميز بالعدالة، وبين ذلك في مشاركته في الحرب بسيفه و جواده غير مستثن منها أهله وقبيلته والذي يقول في ذلك " ما فعلت ذلك خوفا من تمييز نفسي أمام ضربات قبائل العدو، ولكني فعلته لأني كنت أرغب أن أفرض على العرب إلا ما أفرضته على نفسي."

فهو رجل دولة تولى القيادة السياسية والعسكرية، وجعل دولته مكونة من وزراء و حلفاء وقادة محليين.

وكان كذلك يتميز بقوة الإرادة في الدفاع عن الإسلام، وبين قوة التركيز و التفكير والبحث العلمي، مما جعله مؤهلا حين بدأت المقاومة ، وكذلك الفروسية التي امتاز بها، حيث كانت تتطلب الكثير من الجهد البدني والعقلي معا.

فهو يريد بناء دولة كاملة، ويغير الذهنيات، ويعد العدة للمواجهة، والوقوف يدا واحدة، فقد قام بعدة معارك ودائما يخرج منها منتصرا، فقوته وشجاعته أبهرت الجميع .

فاستجابته لروح العقيدة الإسلامية، جاءت لرفع راية الجهاد دفاعا عن النفس، مصداقا لقوله تعالى : « قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدي».

وأن إيمانه وإخلاصه في الجهاد جعله يقدم كامل التضحيات، ولا يتردد في ذلك أبدا مهما كان الثمن،لدرجة أنه كان لا ينام،ولا يغمد سيفه لأسابيع طويلة، وكان يعتقد أن ساعة واحدة في قتال الكافر، أحن من المكوث في مكة سبعين سنة، فجعل الجهاد يحل المرتبة العظمى.

فالجهاد و الاستشهاد هو الطريق المفتوحة إلى الجنة، ويقول الأمير لجنوده في هذا الصدد :" أن راية الجنة في ظل السيوف".

المبحث الخامس: البعد الجمالي في كتابة التاريخ

الواقع أن الرواية مشحونة بالوثائق والشهادات التاريخية الهامة، وقد تعرض بنوع من التتابع التاريخي المنتقي بمنتهى الدقة، فعملية توظيف التاريخ في الرواية تستدعي وعيا كبيرا من طرف الكاتب بالماضي والحاضر، وقد اعتمد الكاتب في توظيف أحداث التاريخ وإخراجها إخراجا فنيا، دون تشويه حقيقتها التاريخية والتي تعتمد على البعد الجمالي منها :

-نجده يصهر الحدث التاريخي مع الحدث الفني،حيث يعمد إلى إتباع تقنية الاسترجاع لإحدى الشخصيات الرئيسية في الرواية، وكمثال على ذلك رَدُ الأمير على رسالة بعث بها إليه القس يترجاه فيها بإطلاق سراح أحد الأسرى، يقول فيها : شعر مونسنيور ديبوش بقلبه ينكمش، ذلك الزمن صار الآن بعيدا، ومع ذلك لا يزال همنا أمامه مثل المرآة العاكسة لحياة انسحبت بسرعة كبيرة، ولكن علاماتها ما تزال متبدية على سطح الروح، يدرك جيدا إنه لم يخطأ في الأمير على الرسالة، رسالة عرفها من انكسارات حروفها،واعوجاجها كالثعابين، والترجمة الملصقة في ظهرها : "مونسنيور أنطوان – أدولف ديبوش....لقد بلغني مكتوبك وفهمت القصد ولم يفاجئني مطلقا في سخائه وطيبته لما سمعته عنكم، ومع ذلك أعذرني أن أسجل ملاحظتي لك بوصفك خادما لله وصديقا للإنسان، كان من واجبك أن تطلب مني إطلاق سراح كل المساجين المسيحيين الذين حبسناهم منذ عودة الحرب بعد فسخ معاهدة تافنة وليس سجينا واحدا "، فهو بهذا الرد على مونسنيور يبين أنه يريد العدل والمساواة بين الجميع. [1]

وكذلك يقول في مقام آخر، معتمدا طريقة الاسترجاع نفسها: "لم يستطع مونسنيور أن يكتم سعادته، عندما تذكر سخاء الأمير، الذي بعث له العديد من الزرابي الذي أثث بها دار اليتامى، وبأربعين معزة مالطية، ترعاها امرأة وطفلة صغيرة، "بهذه الماعز ذات الضروع

[1] الرواية، ص 49 .

المدلاة، يمكنك إطعام الأطفال الذين تبنيتهم، والذين فقدوا أمهاتهم " ،فبهذا الكلام يبين لنا سخاء الأمير عبد القادر، ومدى اهتمامه والتفكير بالآخرين. [1]

والمثال الآتي يكشف الكاتب إلى بيانه، ولكن على لسان إحدى الشخصيات ذات الوزن التاريخي، وهي والد الأمير، يقول بعد رجوع الأمير من إحدى الغزوات ومشاهدته إعدام قاضي أرزيو: "كنت أتمنى أن أعفيه من ذلك ولكن ليكن، هذا سيجعل من بيعته، أتمنى أن يكونوا قد استرجعوا وهران التي سلمها الباي لأسياده، وقبل بمنفى الإسكندرية، ربما فعل خيرا في نفسه، أحسن لنا وله، وإلا لكان مصيره مشابها لمصير قاضي أرزيو".

فهو هنا ينجد بعبد القادر، بأنه سيسترجع وهران في أقل من لمح البصر، فهو يتمنىلعبد القادر التفرغ لكتبه ومعارفه، لكن عندما يتذكر احتراق البلاد، يقول بأن العلم يصبح جبنا والتهاون خيانة.[2]

ووظف الكاتب أيضا رؤيا قابلة للتحقق، إذ يمهد لتولي عبد القادر الأمارة في شكل رؤيا رآها والد الأمير، وسيدي الأعرج وعلماء أرض الحجاز: يقدمها الراوي على لسان القوال الذي بدأ هذه الأيام، يروي قصصا غريبة عن رجل سيأتي، وسيملأ صيته الدنيا، رجل لا ريب فيه، رجل يشبه المسيح بن مريم، وهو ليس مسيحيا، هو مولى الساعة كما يقولون، وكما يقول القوال في السوق. [3]

وتتكرر الرؤيا نفسها على لسان والد الأمير: هل تتذكر الرؤيا البغدادية "لقد عاودتني نفس الرؤيا من جديد بشكل ضاغط، عاد الهاتف نحوي وهو يصر ويضغط علي: ماذا تنتظر لكي يصير عبد القادر سلطان المغرب ؟ أنت تمارس معصية ضد نفسك وضد ربك، الرؤيا يجب أن تجد طريقها ومسالكها.

ويكرر سيدي الأعرج الرؤيا نفسها: "رأيت مولاي عبد القادر الجيلالي، شاء الله به في لباس أبيض فضفاض، أخذني نحو زاوية خالية، وقال لي أغمض عينيك، أغمضتهما

---

[1] الرواية، ص 51 .
[2] الرواية، ص 59.
[3] الرواية، ص 67 .

وعندما فتحتهما كشف لي عن عرش كبير في الصحراء، قلت سبحان الله، ثم مدّ يده نحو اغريس، وجاء بشاب مليئ بالحياة في عمر سيدي عبد القادر، ووضعه وصيا على العرش، هذا المقطع تنبؤ عن قدرة الأميرفي تخليص شعبه من معاناته، بما يتصف به من مزايا تفوق قدرات البشر العادية، في تحويل الأشياء المستحيلة إلى حقيقة ملموسة. [1]

وكذلك يقول الأمير في عبارة أخرى: "يا أبي وشيخي، قل لأعمامي أن يقللوا من مظاهر البذخ، وأن يرتدوا ألبسة أكثر ملائمة للمعركة، فالغزاة يملكون الآلات التي لا نملك، ونملك نحن حيلة أبناء الأرض التي تنقص من قوتهم وجبروتهم، فتنظيم البلاد يحتاج إل وقت، إلى تفكير كبير "، فهو هنا لا يريد لعائلته أن يتعالوا عن الآخرين، فيجب أن يكون شعبه وعائلته متساوون في كل شيء. [2]

ويبقى الأمير عشرين يوما في المدية، التي لم يغادرها إلا عندما تفقد كل شيئ، ووضع أمورها في مسالكها الصحيحة، ونصب الإدارة الجديدة، واستمع إلى قسم التعهد والوفاء، الذي أداه المنصبون في مسجد المدينة أمام جميع المصلين، فهنا يبين لنا التاريخ كيف يقوم الأمير بواجباته، وقضاء حاجيات شعبه، قبل الذهاب والخروج من المدينة.

ويبين لنا الراوي هنا تمسك الأمير بدينه، لأن كل ما يحيط بالإنسان هو عبارة عن مزالق متعددة، عليه تفاديها بشهامة وعزة نفس، فيشكروا الله على أنهم يتركونهم يصلون في القصر لما كان محجوزا، فهو يقول بأن الصلاة لا تؤذي أحدا، هي ليست بيننا وبينهم، ولكن الصلاة بيننا وبين خالقنا.[3]

ووصف لنا الكابتن دوسانت – هيبوليت – الأخلاق العالية التي يكتسبها الأمير عبد القادر فيقول: << الأمير رجل مدهش، هو في وضعية أخلاقية لا نعرفها جيدا في أوروبا، رجل زاهر في شؤون الدنيا، ويظن أنه موكل من طرف الله لمهمة حماية رعاياه، حلمه ليس

---

[1] الرواية ، ص 74 ، 75 .
[2] الرواية، 84 .
[3] الرواية، ص 126 .

الحصول على مجد، والهدف الشخصي ليس من مهامه، وحب المال لا يعنيه أبدا، ليس ملتصقا بالأرض إلا وفق ما يمليه عليه الله، فهو آذانه>>.

وهناك جمال في تاريخ وصف الأمير عبد القادر لقوة وحضارة الغرب يقول: "عندنا في تلمسان مختص اسباني، يسير مصنع إنتاج وقوالب المدافع من عيار الاثنتي عشرة بوصة، وفي مليانة الفرنسي دوكاس الذي بنى فابريكا صغيرة للبنادق والبارود، وقد دعونا الكثير من الأوروبيين للمجيىء للاستقرار والعمل في بلدنا، وسمحنا لهم حتى بالتملك، نريد أن نستفيد منهم، ومن خبرتهم، وأن نبني هذه البلاد على أسس صحيحة، نطمح من هذه الحضارة أن توقظ الشعب النائم على الكذب. [1]

إن حضور شخصية "سيدي الأعرج" المتخيلة وبهذا الوزن الديني، والاجتماعي، له دلالاته الفنية والثقافية، فتنبؤه بالأمير مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، ومؤسس لحوار شيق بين رجلين يمثلان ديانتين مختلفتين هما: الأمير عبد القادر، والقس ديبوش المسيحي، فهو يريد من ورائه أن يؤسس الواقع (جزائر ما بعد المحنة)، واقع يقوم على السلم والاستقرار، واحترام الإنسان كإنسان مهما اختلف دينه وعرقه. [2]

وكذلك عندما شعر الأمير عبد القادر بتغير الوضعيات، ولم يعد قادرا على تسييرها، طلب من القادة الذين معه أن ينسحب فيقول: عندما نحس بالضعف يستحسن أن نترك المسؤولية لمن هو أهل لها، ثم أني شعرت بالضعف أمام ما كان يحدث أمامي، ويحاك ضدي من مكائد، أناس أكلوا معك البؤس والشقاء، فجأة يتخلون عنك، إما أنك لم تفهمهم، أو أنهم يضمرون غير ما يظهرون .

فهو يعترف بالتعب والضعف معا، ويريد الذهاب إلى المغرب، وترك كل شيئ لمن هو أجدر منه على قيادة الأمة، لأنه يرى بأن العرب لا يحسون بالألم إلاّ عندما يجرحون،بسكين حادة، لأن كل واحد يعتقد أن الأمر لا يهمه، وأن الكوارث لا تصيب إلاّ الآخرين. [3]

---

[1] الرواية ، ص 230 ، 231 .
[2] الرواية، ص 147 .
[3] الرواية ، ص 176 .

وكذلك يذكر فضل الأوروبيين عليه في مساعدته على إعادة بناء البلاد فبقول:

استعنت بالعلماء الأوروبيين لإعادة بناء الصور الواقي من الهجمات، ثم بنيت مصنعا للبنادق داخل المدينة، مدينة لا تنتج سلاحها بيدها، مدينة ميتة، كانت مركزا تجاريا بين التل والصحراء.[1]

وكذلك وصف الراوي لشعب مليانة، وهم يحضرون الاحتفال عندما سمعوا الأمير عبد القادر أنه آت إليهم، فيقول مصطفى بن التهامي بعد عودته من المدينة يقول: أنه لم يصدق ما حُضر للأمير من حفاوة كبيرة، وكيف أن الشعب كان محبذا لاستقبال هذا الحدث الاستثنائي، يقول للأمير: إنهم ينتظرونك يا سيدي بما يليق بمكانك الكبير، وإن محمد البركاني والآغا الحاج محي الدين الصغير بن مبارك، بأنهم سيقاتلون بجوارك، وأنهم لم يقبلوا راية أخرى غير رايتك العالية. [2]

وفي موقف آخر كان الأمير عبد القادر يؤكد على ضرورة بناء دولة نظامية، تقوم على النظم الحديثة في الإدارة، يكون لها مصانعها، ومكتبتها وجيشها النظامي ....الخ.

وهذا ما حاول في أكثر من مدينة، مستعينا بخبرات أوروبية، لكن الفرنسيين كانوا يحطمون مشروعاته وهي في بدايتها دائما، ولكن ذلك لم يجعله يتخلى عن فكرته، حتى في الفترة الأخيرة من جهاده، حيث كان من المستحيل أن يبني دولة في مكان محدد مستقر، لأن الجميع أصبح يحاربونه ، الفرنسيون، القبائل العاصية، وسلطان المغرب، وحتى في هذه الظروف الحالكة لم يتخل عن الحلم، ومن هنا جاءت فكرة الزمالة عاصمته المتنقلة.[3]

وكذلك يبين البعد الجمالي في محاولة اغتيال الأمير عبد القادر من طرف أحد خدام العقون، فحين تقرب العبد من أن يدفن سيفه في ظهر الأمير وهو يقرأ القرآن، فمنعته قوة من فعل ذلك، وانحنى أمام رجلي الأمير طالبا الصفح عنه فقال: يا أمير المؤمنين، لقد كُلفت بقتلك، وها أنا ذا أفشل في رفع سيفي، ولا أدري لماذا، مع أني كنت لوحدي كما ترى؟ فعندما

---

[1] الرواية ، ص 179 .
[2] الرواية، ص 118 .
[3] الرواية، ص 377.

هممت بفعل ذلك، رأيت هالة من النور، غمرتني ولم أعد أرى شيئا أبدا، فقلت هذه علامة من علامات الله .

فقال له الأمير أترك سيفك فلست بحاجة إلية، وارتح هنا بجانبي قليلا، هنا بالضبط على نفس الزربية التي كنت أصلي عليها، وأقرأ كلام الله الذي لا أشك في أنك تعرفه، لقد شاءالله أن تدخل المكان مقاتلا، وتخرج منه كريما مؤمنا .

فهنا يبين لنا قوة إيمان الأمير عبد القادري بالله ، وكيف أخرج الشاب من كفره إلى دين الله.[1]

وهناك موقف الأمير عبد القادر اتجاه السلطان المغربي مولاي عبد الرحمن، الذي خذله وخانه وقت الشدة، وأراد تقديم رأسه إلى أعدائه، وعندما شعر الأمير بالانهزام والضعف من مولاي عبد الرحمن من جهة، والفرنسيين من جهة أخرى، فضل أن يسلم نفسه لعدوه الذي حاربه وانتصر عليه في الكثير من المعارك، على أن يقدم رأسه لمسلم خانه وقت الشدة. [2]

وقد وظف الراوي هنا التاريخ، في حب الشعب للأمير عبد القادر، وما قدمه لهم أثناء المعارك سواء لشعبه أو عدوه، حيث عندما كان مسجونا في القصر وكالعادة ذهب مونسنيور ديبوش لزيارته فوجده في استقبال أناس خاصين، أغلبهن من نساء الطبقات الراقية في المدينة، أو اللواتي يأتين من بعيد لملاقاته لأنه أنقذ أزواجهن، أو أهلهن من موت مؤكد أيام الحرب القاسية.[3]

وفي عبارة أخرى "روحك غالية علي، ومستعد أن أمنح دمي لإنقاضها، امنحني من وقتك لأتعرف على دينك، وإذا اقتنعت به سرت نحوه " ، يبين لنا من خلال هذا المقطع سعة

[1] الرواية ، ص 332 .
[2] الرواية ، ص 407 .
[3] الرواية ، ص 439.

ثقافة الأمير وعلاقته بالآخر، والإيمان بالأديان الأخرى، ويتعرف على نظرته التصوفية في اعتباره أن كل الأديان توصلنا إلى الله، على الرغم من الاختلافات الحاصلة.[1]

نستخلص مما سبق أن الروائي واسيني الأعرج وظّف الكثير من الأبعاد الجمالية في إعادة كتابة التاريخ في الرواية، فاعتمد على مبادئ السلم والحوار الحضاري و المثاقفة وخدمة الآخر مهما كانت عقيدته أو جنسه أو موطنه، وكذلك وظف البعد الجمالي في بناء الدولة على السلم و الأخوة و المساواة، وتغيير النظرة إلى الآخر بتقبله كإنسان.

فالتاريخ يعد أرضية ضرورية لنماء الفكر الإبداعي، وحتى غير الإبداعي، وهو طريق نحو الحداثة لأن الحداثة في حد ذاتها هي أحداث ماضية.

[1] الرواية، ص 44.

الخاتمـــــة

الخاتمة

بعد دراستنا لرواية "كتاب الأمير"من خلال البعد التاريخي، والتي يمكننا من خلالها رصد حملة من النتائج التي توصلنا إليها أثناء دراستنا وهي كالتالي :

- لقد ألف واسيني الأعرج عمل روائي، اتكأ فيه على المادة التاريخية، وجعلها عجينة شكل بها بناءه الفني، حيث أكسبتنا الرواية مسحة جمالية تعرفنا فيها على براعة الكاتب، و المكانة التي يحتلها عمله الروائي في الساحة الإبداعية العربية.

- كما تمكن من جعل التاريخ مادة لروايته، لأن الرواية فعل تخيلي، وهذا ما كان مجسدا في رواية كتاب الأمير من بدايتها إلى نهايتها، كما أن المادة التاريخية شغلت حيزا كبيرا من المساحة النصية، ومع ذالك لم تنقص من جمالية الرواية.

- ولقد استفاد واسيني الأعرج من المادة التاريخية الموثقة، أي جعلها أرضية، لصناعة خطاب مغاير لخطاب المؤرخ، لأن واسيني قرأ الوقائع التاريخية قصد البحث والكشف عن الحقائق. حيث استطاعت أن تستوعب أو تحتوي علي شكلا سرديا مستمدا من التاريخ، وتضمنه في طياتها، وتستلهم منه مادته الحكائية بشخصياتها و فضائلها وزمانها وأحداثها، و تنتج على أنقاضها نصا جديدا تنفتح لغته على أكثر من مستوى خطابي، لتحاول الإجابة على أسئلة تبحث في سر تأخرنا أو انهزامنا من خلال فهم سر هزائم الماضي، وانكسار مقاومة الأمير عبد القادر، وفهم الواقع في علاقته بالتاريخ، لأن الواقع هو امتداد للتاريخ بمختلف أشكاله وألوانه.

- وحاول الأعرج في " كتاب الأمير" التأصيل لفن الرواية العرب يق شكلا ومضمونا، فشيد هيكلها على منوال كتب التاريخ من خلال تقسيمها إلى أبواب، ثم تفريغ كل باب إلى مقاطع، فاصتبغت الرواية بصبغة عربية تكاد تكون خالصة، تستمد شك لها من التراث العربي ومضمونها من التاريخ الجزائري الحديث.

- تفتح الرواية آفاقا لنشر ثقافة السلم والحوار الحضاري، وتغيير الذهنيات بالتخلي عن بعض العنتريات السلبية الموروثة، وإعادة بناء الذات بتغيير النظرة إلى الآخر، و الاستفادة من حضارته وعلمه، وطريقة تنظيمه لحياته، ولا يتم ذلك إلا باسترجاع مكانة الكتاب، و إعادة بعث دوره في رفع مستوى الحياة.

- و تحتوي الرواية أكثر بالغرب وتنتصر لثقافته وأخلاقه، وخاصة فرنسا، بالرغم من أنها خلفت وعدها مع الأمير وسجنته لمدة خمس سنوات، لكن الروائي حاول في كثير من المرات على لسان القس أن يبرز الجانب الحضاري لهذه الدولة العظمى، وحرصها على كفالة حقوق الناس، و حتى الأمير في الرواية لا نجده يذكرها بوصف الاستعمار أو الاحتلال، بل باسم الجيش الفرنسي، أما كلمات العدو، الغزاة، الكفار، الحرب، الجهاد، فلا يسوقها الراوي إلاّ نادرا على لسان الأمير في معاركه ضد القبائل الخائنة .

- لا تؤرخ رواية "كتاب الأمير"للتاريخ بقدر ما تعيد إنتاج مرحلة جديدة، من تاريخ الجزائر المعاصر، هي مرحلة – جزائر ما بعد المحنة – وهي إذ تغوص في ذلك الصراع الأبدي بين القوى العظمى حول مصالحها في المنطقة، فإنها تكشف بأن الصراع مازال مستمرا ولو بطرق أخرى، ويحاول الروائي من خلال إثارة هذا الصراع لفت الانتباه إلى المحنة التي اجتازتها البلاد .

فاختار لهذه المهمة شخصية الأمير عبد القادر الجزائري الذي تتشابه ظروفه وظروف الكاتب، وتتوفر فيه صفات البطل الذي يتبناه الروائي، ويقدر على حمل رسالته بما يعكس رؤيته، فهو الرجل المثقف والبطل المخلص، الساعي إلى تغيير عادات الناس وسلوكاتهم وطرق تفكيرهم، غير أن طموحاته اصطدمت بعقلية متحجرة تختفي خلف عنتريات موروثة .

ويعد متن رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج، بناءا فذا لأنه مبني أساسا على مقترح التاريخ، كما أن الكاتب عبر من خلاله على الذات والوعي والأنا والآخر .

- وقد استخلصنا بعد دراستنا لرواية "كتاب الأمير" أن الكاتب قد نبش في التاريخ الجزائري، واضعا أحداثه التاريخية أمام المتلقي، مستعينا بذاكرته التاريخية، وأن واسيني الأعرج اعتمد على السارد دون تعقيب أو تفصيل على الأحداث التاريخية، أو محاولة إضاءتها، كما أن معظم هذه الأحداث جاءت في سياق تخيلي، وهنا تكمن براعة الكاتب في كونه وضع القارئ في السياق التاريخي من الوهلة الأولى .

- وفي الأخير يمكن القول أن تجربة واسيني الأعرج، هي واحدة من التجارب التي استطاعت أن تعبر عن تطوع الإبداع الروائي الجزائري، حيث عاد الروائي في هذه الرواية إلى مرحلة مهمة من التاريخ الجزائري الحديث، ليبني على أنقاضها زمنا آخر هو الزمن الحاضر، ويصنع منها واقعا معرفيا جديدا، يعيد به تشكيل وعي الأجيال بتغيير نمط تفكيره، وتغيير نظرته إلى الذات وإلى الآخر .

فيبرز أسباب انتصار الآخر على المستوى العسكري، والسياسي، والثقافي والحضاري، والأخلاقي، وانكسار مقاومة الأمير عبد القادر في جميع المستويات السابقة، ومن ثم ينبه إلى الاستفادة من أخطاء الماضي، وعدم تكرارها في الحاضر.

ملخص الرواية

رواية " كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد"، تروي سيرة مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة الأمير عبد القادر، بنظرة الآخر الغربي، من خلال رؤية رجل دين مسيحي، توازيها سيرة القس مونسنيور أدولف ديبوش.

حيث تبدأ الرواية بتعهد (جون موبي) بتنفيذ وصية مونسنيونديبوش، وذلك بنقل رفاته و دفنه في أرض الجزائر حيث كان ذلك خروج (جون موبي) يوم 1864/07/28م فجرا من ميناء الجزائر على متن قارب الصياد المالطي الذي كان شغوفا لسماع قصة مونسنيور، فيبدأ جون موبي بسرد الحكاية للصياد مبتدءا بتعيين مونسنيور طاول قس بالجزائر إلى غلية تعرفه بالأمير الذي جمعت بينهما صداقة قوية، إلى أن تنتقل بنا الرواية إلى آخر مشاهدها حول وعد مونسنيور بتحرير الأمير من المنفى في قصر امبواز في يوم 17جانفي 1848م، حيث عندما انعقد مجلس المناقشات بباريس، فتح فيه ملف الأمير كأول ملف، بعد محاولات مضنية، استطاع مونسنيور بمساعدة دولاموريسير إضافة إلى صاحب السمو الملكي حاكم الجزائر (الدوق دوما) وبعض نواب المجلس بإقناع المجلس بفتح هذا الملف وبذلك دارت المناقشات حول قضية الأمير حيث تراوحت آراؤهم بين مؤيد و معارض.

ثم تعود بنا الرواية إلى 1848م يتجه مونسينيور إلى قصر هنري الرابع، حيث يلتقي بالكولونيل (أجين دوما)الذي تناقش معه في شأن التغييرات التي حصلت في الحكومة الفرنسية ومناقشة سيرة الأمير قبل السجن و أثنائه، معبرين عن إعجابهم بشخصيته لا سيما منها أثناء السجن وبعده .

ثم تعود الرواية بنا مرة ثانية إلى الخلف عام 1832م، وهو عام الجراد، وهي سنة الأمراض والجفاف والموت والخراب، كما كثر فيها القتال بين القبائل والأخوة لأتفه الأسباب، كما أعدم فيها قاضي أرزيو أحمد بن الطاهر، وبعدها اتفق الجميع على مبايعة الأمير عبد القادر من قبل القبائل، وكان هذا بعد الرؤية التي رآها سيدي الأعرج، وكانت في 27 نوفمبر

1832م، وعلى اثر هذه البيعة عزم الأمير على التغيير بداية بنفسه وعائلته، حيث طلب منهم التقليل من مظاهر البذخ، والترف .

وفي عام 1833م عقد دوميشال معاهدة مع الامير، وكانت أول هدنة بينهما، و في 07 ماي 1833م هاجم دوميشال القبائل المسندة للأمير، والمجاورة لوهران لغرض فك الحصار عنها خاصة قبيلة غرابة التي كانت أشد وفاء للأمير .

وفي 1835م تدق الطبول الفعلية للحرب، وذلك بعد أن أرسلت ثلاث سفن بميناء الجزائر، وعلى رأسها (كلوزيل) الذي خلف (ديرلون)، الذي توجه إلى وهران رفقة كم كبير من الأسلحة والخيالة، وكان ذلك في أيام الخريف الأولى .

لقد كان في رأس (كلوزيل) شيئ واحد وهو محو عاصمة الأمير عبد القادر "معسكر" ، وعند بداية النزوح سمع الأمير الخبر، حيث جمع الأمير سكان معسكر في المسجد، وأمرهم بإخلاء المدينة والذهاب إلى (تكدامت)، فكان الأمر كذلك بعد أن أحرقوا المصانع والأراضي الزراعية، ولم يبقى في المدينة غير بعض التجار اليهود، والعرب الذين فضلوا البقاء في محلاتهم .

وتنتقل بنا الرواية إلى حرب الأمير مع التجانية، وطرده لمقدم الزاوية وحاشية (محمد التيجاني)، باتجاه وادي ميزاب، ثم حرق مدينة عين ماضي في 12 جانفي 1841م .

وفي ظل هذه الظروف، اكتشف الأمير الضعف الكبير بجيشه، مما دفعه إلى إعادة ترتيبه من جديد، كما احتلت مدينة قسنطينة وطرد الداي، وكانت بداية نقض معاهدة التافنة، وفي أول اجتماع والذي كان في شهر مارس، أعلن الأمير الحرب، حيث بعث برسالة إلى (الماريشالدوفالي) تتضمن نهاية الاتفاقية وبداية الحرب، وفي 22 فبراير 1841م وهو التاريخ الذي جاء فيه (بيجو توماس) إلى الجزائر بعد أن عينا حاكما عليها، حيث خاض مع الأمير حربا كانت غير متكافئة، وبعد مضي أيام قلائل عاد بيجو و استولى على تاكدامت العاصمة الرمزية للأمير ودمرها تدميرا كليا.

وبعد زيارة مونسنيور للأمير في سجنه بدأ في كتابة رسالة إلى نابليون حيث شخص له فيها عن الأمير الذي تحدث معه هذه المرة عن الزمالة التي كبرت حتى أصبحت تحتوى على 33 دائرة و 70 ألف نسمة و 40 حارس نظامي مع تباشير عام 1843م، إلا أن الآغا بن فرحات والدق دومال تمكنا بعد يومين من البحث عنهما و مهاجمتهما، فكسرت الزمالة عمادها الفقري حيث لا يمكنها النهوض بعد ذلك، تمكن السكان من القضاء على مصطفى بن إسماعيل الذي كان وراء تدمير تكدامت، هذه الظروف جعلت الأمير يكتب إلى سلطان المغرب مستنجدا حيث أرسل لهذه المهمة خليفة مبارك بن علال الذي هاجمته القوات الفرنسية بعد أقل من أسبوع من خروجه حيث قتل في المعركة وقد كانت فاجعة بالنسبة إلى الأمير وقد كان الوقت يمر بسرعة على موسينيور الذي لم يجد وقتا للراحة لأنه يجب أن ينهي رسالته قبل حلول فصل الربيع.

وبعد فشل محاولات إجبار سلطان المغرب على التوقيع على اتفاقية الحدود مع فرنسا، قام بيجو بمهاجمة ولي العهد المغربي محمد الأمير، على اثر هذه الأحداث قام بليثي بجريمة ارتكبها في حق 760 ضحية في غار جبل الظهرة ومعاناة ابن سالم مع منطقة القبائل فحدثت للأمير انتكاسة أقعدته الفراش لأكثر من أسبوع، وعند عودته تباغته قوات بيجو بالهجوم بذلك خسر الأمير أكثر من 70 فارسا.

وفي هذه الزيارة التي قام بها مونسينيور رأى في عينيه حزنا وانهيار بعد محاولة اغتياله من طرف العقون،إضافة إلى تلك الحرب الضروس التي دارت بينه وبين أمير المغرب،

والتي انتصر فيها الأمير، وفي آخر معاركه مع فرنسا يسلم نفسه للكولونيل يوم 23 ديسمبر بعد أن ضاقت به السبل، وبعد الظهر يركب الأمير و حاشيته وأمه وزوجاته السفينة باتجاه المنفى، وصل جون موبي والصياد المالطي الأمبرالية ولازالا في المقهى ليكمل جون القصة على مسامع الصياد حيث بدأ بدخول مونسينيور للصالون لرؤية الأمير كعادته وقد

كان الأمير في كل مرة يستقبل زوارا من جميع الطبقات و يحادثهم، وقد أطال الحديث مع مونسينيور في أمور كثيرة، وفي 25 ديسمبر ركب الأمير وحاشيته (الأصمودي) من المرسى الكبير، كانت الرحلة عنيفة جدا حطت السفينة في طولون، وقد كان بوسوني برفقة الأمير طوال الرحلة، وينتقل الأمير وحاشيته إلى قصر أمبواز، ثم تأتيه الأخبار السيئة، والانقلابات التي لا تبشر بالخير مطلقا، حيث بعث الأمير إلى مونسينيور بمناسبة العام الجديد، يطلب المجيئ إليه، فرد عليه هذا الأخير برسالة أخرى، وعندها قرر مونسينيور أن يصل بالأمير للرئيس ويستعطفه، يعرض عليه مشكلته، وبعدها قام مونسينيور بزيارته الأخيرة للأمير بعد انقلاب 02ديسمبر 1851م، فوجد أن الأمير لم يعد متحملا للبرد ولا للألم ولا لأي شيئ أكثر من الوضعية التي أصبح عليها،فقد زادت حساسيته مؤخرا، فعانقه عناقا شديدا، وعندها ابتسم الأمير قليلا، وكاد ينسى ما مر به من آلام عند رؤيته لديبوش.

وفي يوم 16أكتوبر 1852م هي المرة الأولى التي تفتح فيها أبواب القصر عن آخرها، ترحيبا بمجيئ لويس نابليون بونابرت لزيارة الأمير، إضافة إلى إعلامه بحريته، وذلك عن طريق رسالة أو مرافعة كما أسماها جون موبي، أرسلها مونسينيور للدفاع عن الأمير والكشف عن حقيقة أصل الأمير و جوهره، وهو طيب لدى الرئيس، وهكذا تحقق ما كان ينشده مونسينيور ويرجوه للأمير، وعندها خرج الأمير لزيارة الرئيس في قصره قبل مغادرة فرنسا، فاستقبل بحفاوة كبيرة لم يصدقها للوهلة الأولى، إلا أنه كان مشتاقا فقط لرؤية مونسينيور ومعانقته وشكره، وبعد مرور خمس سنوات أطلق سراحه، وأحس بالحرية التي سلبت منه، فأغلقت الأبواب من وراءه وأمطرت السماء، وبعد الانتهاء من الإجراءات الخاصة بالرحلة، اتجه الأمير وحاشيته إلى تركيا، حيث نزل بنزل الأباطرة، وهناك التقى مع مونسينيور و أهداه برنسه.

وتعود بنا الرواية إلى الأميرالية حيث ينتظر الناس رفاه القس المسيحي مونسينيورديبوش، ومن بين المنتظرين تلك المرأة و الفتاة الشابة، والتي كانت هي نفسها المرأة التي جاءت إليه تطلب منه أن يساعدها في عفو الأمير عن زوجها الأسير، وتلك

الفتاة التي كانت بين يديها، ثم يصل وفد كبير لاستقبال رفاه هذا الرجل الذي هتف الجميع له، حيث كان يود كل واحد منهم لو ينحني أمامه ليقدم ولو كلمة تعبر عن امتنانهم وشكرهم له، كما أنهم مدوا أيديهم لتلمس نعشه لأنه الرجل العظيم الذي يستحق وقفتهم في مثل هذا اليوم على حواف شوارع الإمبراطور الممتدة على طول البحر، وفي تلك اللحظة يكتفي جون موبي بلمسه للتابوت وتسجيل إشارة الصليب عليه .

ويختم واسيني الأعرج روايته قائلا : (عندما تصمت الطيور والنوارس التي تبحث باستماتة عن أعشاشها عميقا في مداخل منارة الميناء القديمة، وتهزم عيونها الصغيرة وسط الظلمة وأشعة الشمس المنكسرة، هذا يعني أن شيئا جسيما قد حدث أو ربما، هو بصدد الحدوث).

باريس . الجزائر، خريف 2004 .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

واسيني الأعرج: كتاب الأمير(مسالك أبواب الحديد)، منشورات الفضاء الحي، الجزائر العاصمة، ط1، 2004.

المراجع:

1. ابن منظور: قاموس لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، إنتاج المستقبل للنشر الالكتروني، بيروت، 1995.
2. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900-1930،دار الآداب، بيروت، 1969.
3. أحمد دوغان: شخصيات في الأدب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
4. أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1996.
5. احمد سيد محمد: الرواية الإنسانية و تأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب ونجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
6. أدريان بيار بروجير: رحلة إلى معسكر الأمير عبد القادر 1837-1838، تر أبو القاسم سعد الله، مجلة الذاكرة، العدد 5 .
7. إدريس بودبية: الرواية والبنية في روايات الطاهر وطار،شركة أشغال الطباعة، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2000.
8. الأميرة بديعة الحسني الجزائري: الأمير عبد القادر(حقائق و وثائق)، دار المعرفة، الجزائر، 2008.
9. الأمير عبد القادر الجزائري: ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتحقيق ممدوح حقي، دار اليقضة العربية، بيروت، ط3، 1965.

10. الدكتور أديب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر،الجزائري، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 1983.
11. الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري منذ 1945-1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
12. بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغربية للطباعة لنشر الإشهار،تونس، ط1، 1999.
13. بوشوشة بن جمعة: الثورة الجزائرية بين الواقع والمتخيل في الرواية الجزائرية المعاصرة، المساء، الجزائر، 1988.
14. برونو ايتين: الأمير عبد القادر الجزائري،ترجمة المهندس ميشيل خوري، دار عطية للنشر، لبنان، ط1، 1997.
15. حنفاوي بعلي: أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار الغرب للنشر.
16. حفظ الله بوبكر: الدور العسكري للمرأة الجزائرية إبان الثورة التحريرية 1954-1962، جامعة باتنة .
17. سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة المصرية، بيروت، ص175 .
18. شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس،1974.
19. شمس الدين السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مطبعة الترقي، دمشق، 1949.
20. صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشوق للطباعة والنشر، ط2، 2009.
21. عائدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري 1925- 1967، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
22. عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت الفنون و العلوم والآداب، الدار البيضاء، 2005.

23. عبد الكريم الصفاقصي: محاضرة في تاريخ الأمير، في مجلة البصائر، العدد 12، 1947.
24. عبد الله الركيبي: نطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974، المؤسسة الوطنية للكتاب،ط1، 1883.
25. عبد الله العروي: مفهوم التاريخ (الألفاظ و المذاهب)، ج 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992.
26. عماد بن زايد: النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب.
27. عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
28. عمر بوزيان: جذور إتحاد المغرب والجزائر 1832-1845، منشورات دار عكاظ، الرباط، 1988.
29. فيصل دراج: الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2004.
30. محمد السيد محمد علي الوزير: الأمير عبد القادر الجزائري(ثقافته وأثرها في أدبه)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
31. محمد أمين العالم: تأملات في عالم نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة التأليف و النشر،1970.
32. محمد بن سمينة: في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة(مؤثراتها، بدايتها، مراحلها)، مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003.
33. محمد ديب: الدار الكبيرة، ترجمة سامي الدروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1968.
34. محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة (بين الواقعية والالتزام)، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.
35. نسيمة يعقوبي: صورة الثورة في ثلاثية محمد ديب، رس، ماجستير، قسنطينة، 1983.

36. نوال بن صالح: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير(صراع اللغة والهوية)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2011.
37. نور سلمان: الأدب الجزائري(في رحاب الرفض و التحرير)، دار الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2009.
38. واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
39. يحي بوعزيز:الأمير عبد القادر، راية الكفاح الجزائري(سيرته الذاتية وجهاده)،دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
40. يمنى العيد: فن الرواية العربية (بين خصوصية الخطاب و تميز الحكاية)، دار الآداب، بيروت، ط1، 1998 .

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة..... أ

الفصل التمهيدي: الرواية الجزائرية 07

الفصل الأول: قضايا الرواية الجزائرية

المبحث الأول: القضايا الاجتماعية (المرأة)..... 18

المبحث الثاني: القضايا السياسية (الثورة الزراعية)..... 27

المبحث الثالث: القضايا الثقافية (اللغة)..... 32

الفصل الثاني: البعد التاريخي في رواية كتاب الأمير

المبحث الأول: مفهوم البعد التاريخي. 45

المبحث الثاني: السيرة الذاتية للأمير عبد القادر 56

المبحث الثالث: حياة الأمير الروائية..... 65

المبحث الرابع: مقارنة بين شخصية الأمير الواقعية والشخصية الروائية 69

المبحث الخامس: البعد الجمالي في كتابة التاريخ..... 82

الخاتمة 90

ملخص الرواية 93

قائمة المصادر والمراجع..... 99

ملخص البحث

يطرح هذا البحث البعد التاريخي في رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد "، للروائي الجزائري "واسيني الأعرج"، ليس بغرض كشف زيف الحقيقة الفنية أمام السلطة الحقيقية التاريخية، وإنما للبحث عن كيفية تسويق التاريخ روائيا، ويجيب عن بعض الأسئلة منها: إلى أي مدى يصدق الروائي عندما يصوغ لنا هذا التاريخ؟ وكيف وظف الشخصية التاريخية في هذه الرواية؟ وما هي الرؤية الجمالية في إعادة كتابة التاريخ؟ حيث تبحث هذه الأسئلة عن أسباب اللجوء إلى الماضي، واستعادة أحداثه في حقبة زمنية مغايرة، ليكشف عن سر تأخرنا وانهزامنا في الماضي، واستمرار ذلك في الحاضر، ويبين الرؤية التي يعيد بها الكاتب صوغ التاريخ.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاث فصول: فصلين نظريين، وفصل تطبيقي، تطرقت في الفصل التمهيدي إلى الرواية الجزائرية، وأسباب تأخرها في الجزائر، وأهم الروايات الجزائرية.

وتناولت في الفصل الأول: قضايا الرواية الجزائرية، حيث أخذت القضايا الاجتماعية، وكنموذج على ذلك تناولت قضية المرأة أثناء الاستعمار، وقبل الاستعمار، وبعد الاستقلال، والقضايا السياسية، تطرقت إلى قضية الثورة الزراعية من حيث أخذ الاستعمار لكل الأراضي الجزائرية ، والقضايا الثقافية وتناولت فيها قضية اللغة التي حاول الاستعمار القضاء على العربية، والقضاء على كل الثقافة العربية .

وفي الفصل التطبيقي الذي تحت عنوان البعد التاريخي في الرواية، وتطرقت فيه إلى الحديث عن التاريخ، وطرق اشتغاله في الرواية، وكيف بين لنا الروائي ثنايا أحداث التاريخ، ثم تحدثت فيه عن شخصية تاريخية وهي شخصية الأمير عبد القادر الجزائري، وبعدها بنيت البعد الجمالي في كتابة التاريخ.

Résume de l’expose

Cet expose proposé la distance historique dans le momon du livre D Elamir les façons des fer portes (Masselik aboib Elhadid),pour l’auteur algérien «wassini El Aaraj » E l n est pas du découvrir la contrefait de la vérités thétique devant la réel pouvoir historique, Mais pour rechercher des causes de référence aux passe ou

L’histoire et redevenir leurs évènements dans une période temporel variée, Pour éventer le secret de notre retard et notre défait eaux passe et la continuité de celle-ci aux présent.

Ainsi que cet résume explique la point du vue qui pousse l’auteur a reformé l’histoire.

On compose cet expose en trois chapitres, les deux premiers chapitres sont théorique, et le dernier est pratique.

Dans l’introduction du chapitre, on expose le roman algérien et les raisons de ses retards en l’Algérie, aussi les romans majeurs en l’Algérie.

On obtenir dans le premier chapitre : les cas de roman algérienne, et on expose les cas social comme un ensemble. On explique le cas de la femme pendant le colonialisme, devant et après le colonialisme.

Ainsi ont cité les cas politique, ou on explique le procès de la révolution agronomique et les procès culturelle, dans cette cas on propose le procès linguistique, ou le colonialisme essaie de massacrer, la langue arabe et effacer tout la culture arabe.

Dans la deuxième chapitre, sons le titre de la distance historique, on parle de l’histoire et les méthode de leurs emplacement dans le roman, aussique l’auteur expliqué à nous tous les évènements de l’histoire.

Enfin, on parle par une personnage historique, c’est el Amir abd el Kader, et ainsi on explique la distance fénonciaire dans l’écriture historique de cet roman.